مجلة شهرية

Issue No: 207 :عدد
November 2024 شهر تشرين الثاني

نـــــــور يسوع المسيح الفادي المسيـــــح
ΧΡΙΣΤΟΥ Φ Ω Σ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

Ιερά Μονή Δοχειαρίου Αγίου Όρους

دير دوخياريُّو العامر

للروم الأرثوذكس - جبل آثوس

عيد الدير المركزي

تذكار رئيسَي الملائكة ميخائيل وجبرائيل

٨ تشرين الثاني شرقي

٢١ تشرين الثاني غربي

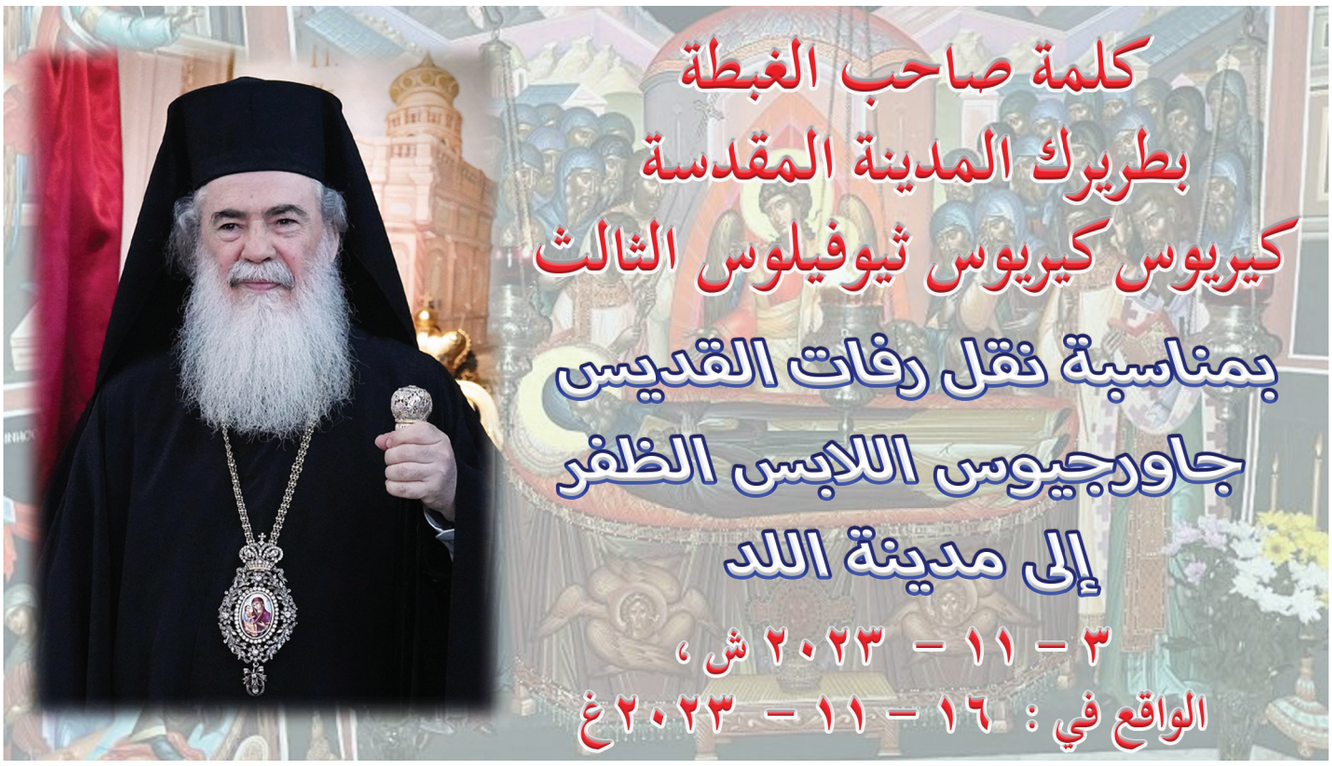

كلمة صاحب الغبطة
بطريرك المدينة المقدسة
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
بمناسبة نقل رفات القديس
جاورجيوس اللابس الظفر
إلى مدينة اللد
٣ – ١١ – ٢٠٢٣ ش ،
الواقع في : ١٦ – ١١ – ٢٠٢٣ غ

«لَقد صَعِدْتَ على جبل الشَّهادة أَيهَا المجاهد الظَّافر فاقتبلْتَ الإِكْليل مِن يدِ الرَّب فَإِنَّ هذَا هُو جَزَاءُ الشُّهداء وَلذَلِك نُعَظِّمكَ نَحْن كُلُّنا». هذَا مَا يَتفوَّه بِه مُرنم الكنيسة.

أيهُّا الآباء الأجلَّاء والإخوة المحبوبون في المسيح

أيهُّا المسيحيُّون الأتقياء

يَدعُونا **اليوم** الاحتفالُ العالميُّ **لِلْمجاهد جاورْجيُوس**. **اليوم** نِعْمَة **الرُّوح اَلقُدس** اَلتِي أَوضَحتِ العبْدَ اَلأمِين وشهيد مَحبَّة **اَلمسِيح** جاورْجيوس الشُّجَاع، قد جَمَعتنَا هَهنَا فِي مَدِينَة **اللُّد** المقدَّسة لِكي نُعيِّد لِتذْكَار تَجدِيد أيْ تَدشِين وَتكرِيس هَيكَل **القدِّيس اَلشهِيد اَلعظِيم جاورجيوس** أيْ نَقْل جَسدِه اَلكرِيم وَوضعِه فِيه.

يَنحَدِر أَصْل **القدِّيس جاورْجيوس** مِن كِبادوكْيَا مِن أَبوَين مسيحيَّيْنِ كَانَا مِن أَصحَاب الغنى والشُّهْرة الاجْتماعيَّة، خَدَمَ كَضابِط فِي صُفُوف الجَيْش الرُّومانيِّ فِي عَهْد **الإمبراطور ديوكلتيانوس** (٢٨٤–٣٠٥).

وَلمَّا بدأ **الإمبراطور ديوكلتيانوس** بِاضْطهاد المسيحيِّين وتعذيبهم، مُصدِرًا أَوامِره بِإجْبارهم على عِبادة الأوثان، فَقَام جاورجيوس بِإعلَان نَفسِهِ بِجرْأةٍ أَنَّه مَسيحِي. وفضح الأصنام وبُطلانَهَا مُوَبِّخًا **الإمبراطور** وَكُلَّ عَبَدَةِ الأصنام. وتمَّ نَقْلُ **جسد القدِّيس المجاهد جاورجيوس** ووضعه فِي مَدِينَة ذِيسبوليس الفلسطينيَّة وَالتِي كَانَت تُدعَى يومًا مَا بجاورجيوبوليس أي مَدِينَة جُورج؛ وَالتِي تُعرَف اليوم بِمدينة **اللُّد** حَيث قَبر القدِّيس الفارغ، وَالذِي بُنِيَت عليه كَنِيسَة فَائِقة الجمَال بِحَسب **باسيكراتيس** كَاتِب **سِيرة حَيَاة القدِّيس**.

لَقد ربطَ **القدِّيس اَلعظِيم جاورجيوس** بَين الاعتراف والإيمان **بِالمسيح** المصلوب والقائم مِن بَين الأموات، والْأَرض المقدَّسة، وأظهر سِرَّ التَّقوى، أي سِرَّ التَّدْبير الإِلَهِيِّ. فَإِن مُرنِم الكنيسة يَقُول فِيه: « لَقد سَلكتَ سُلوكًا يَنطَبِق على مَعنَى اَسْمِك يَا جاورجيوس اَلجندِي اَلعظِيم. فَإِنَّك حَملَت صليب اَلمسِيح على منكبَيك. وحرثتَ الأرض اَلتِي بَارَت بِالضَّلالة الشَّيْطانيَّة واسْتأصلتَ عِبادة الأوثان المشوَّكة. وغرستَ كَرمَة الإيمان اَلقوِيم. فَأَصبحتَ حرَّاثًا لِلتَّالوث اَلقُدُّوس يَا جاورْجيوس بَارًّا تَبسُط فُرُوع الأشفيَّة لِكلِّ مَن فِي المسْكونة مِن المؤمنين.»

لهذا تمامًا لِأنَّ القدِّيس اَلعظِيم جاورجيوس حَرَثَ الأرْض اَلتِي بَارَت **بِالضَّلالة الشَّيْطانيَّة واسْتأْصل عِبادة الأوْثان المشوَّكة**. وغرَسَ كَرمَةَ الإيمان الأرثوذكسيِّ اَلقوِيم فأصبح مَعرُوفًا فِي جميع أَنْحَاء العالم، يَلمَع أَكثَر مِن الشَّمس نُورًا وأبْهى مِن النُّجوم اللَّامعة، والدَّليل على هذَا أنَّ اَلشهِيد اَلعظِيم جاورْجيوس يُعْتَبر رسْميًّا المحامي والْمدافع لِكثير مِن الشُّعوب والْأمم حَتَّى يومنَا هذَا.

ويمتاز الكليّ الغبطة جاورجيوس بين شهداء الكنيسة القديسين، لأنَّهُ صار كرسولٍ آخر مُبشِّرًا بالحقِّ، بإنجيل **المسيح**، لا بالكلامِ فقط، بل بدمهِ. مُؤَكِّدًا بما يوصينا بِهِ **الرَّبُّ**: «لاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا» (مت١٠:٢٨)، «وَمَتَى قَدَّمُوكُمْ إِلَى الْمَجَامِعِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاَطِينِ فَلاَ تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَحْتَجُّونَ أَوْ بِمَا تَقُولُونَ،لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يُعَلِّمُكُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا يَجِبُ أَنْ تَقُولُوهُ».» (لو١٢:١١-١٢). لهذا فَإِنَّ **جاورجيوس** قد ٱلتهَب شوقًا مِن أَجْل **المسيح** لهذا فَإِن اَلمُرنِّم يَقُول:«فَإِن المحَبَّة تَغلبَت على الطَّبيعة (**البشريَّة**) فَأَقنعَت العاشق (**جاورجيوس**) بِأن يَصِل بالموتِ إِلى مَعشُوقِهِ اَلمسِيح الإله مُخَلِّص نُفوسِنَا.»

وبكلام آخر فإنَّ القديس جاورجيوس كانت في قلبه غيرة **لله** لهذا فقد قدَّم نفسه ذبيحةً حيَّةً مقدَّسةً مرضيَّةً **لله** سامعًا لأقوال القديس الرسول بولس: «لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ.» (في١:٢١)، وها هو السبب الذي من أجله صار جاورجيوس متمثلًا ومشاركًا في

آلام **المسيح** لإنَّ **الرَّبَّ** قال: «الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ، لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا.» (يوحنا ١٥ : ٥).

وَمِن اَلجدِير بِالذِّكْر أنَّ شُهَداء مَحبَّة اَلْبارِّ أيْ **المسيح** قد تَجَرَّبُوا فِي هُزْءٍ وَجَلْدٍ، وفِي قُيُودٍ أَيْضًا وَحَبْسٍ رُجِمُوا، نُشِرُوا، جُرِّبُوا، مَاتُوا قَتْلًا بِالسَّيْفِ وقد كان تطلُّعهم لِهَدف وَاحِد فقط اَلَا وَهُو مَلكُوت **اللهِ** وَمجدِه وبِرِّه مُسْتنيرين **بِالرُّوح اَلقُدُس** نَاظرِين إلى **اَلمسِيح** حسب وَعدِه قائلًا:«لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ. بَعْدَ قَلِيلٍ لاَ يَرَانِي الْعَالَمُ أَيْضًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَرَوْنَنِي. إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ.» (يو ١٤ :١٨-١٩).

إنَّ أَقوَال **اَلرَّبِّ**: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَرَوْنَنِي. إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ.» (يو١٤ :١٩)، مُوَجهَة إِلَيْنَا نَحْن أيْضًا، أَيهَا الإِخْوة الأعزَّاء، خَاصَّة مِن خِلَال شُهَدائِهِ القدِّيسين، ولاسيَّمَا اَلشهِيد اَلعظِيم جاورجيوس، وأيْضًا مِن خِلَال كنيستنَا المقدَّسة، اَلتِي هِي جسد مُخَلصنَا **اَلمسِيح** المصْلوب والْقائم مِن بَيْن الأمْوات.

ونَقُول هذَا لِأَنَّهُ فِي اْجتماعاتنَا العباديَّة وَخَاصَّة أَثنَاء اِجتِماع سِرِّ الشُّكْر الإلهِيِّ، فَإِنَّ مَعنَا وَفِي دَاخلِنا حَاضِرٌ وَحْيٌّ **اَلمسِيح** شَمْس اَلبِرِّ، إلَه السَّلَام والْمحبَّة، وَلَدينَا أيْضًا الشَّهادة الحيَّة. لِنَقْلِ وَوضْع الرُّفَات المقدَّسة لِلشَّهِيد اَلعظِيم جاورجيوس حَيْث يُوجَد هٰهُنَا قَبرُه الفارغ؛ «لأَنَّ اللهَ امْتَحَنَ جاورْجيوس فوجده أهْلا لَه. «مَحَّصَهُ كَالذَّهَبِ فِي الْبُودَقَةِ، وَقَبِلَهُ كَذَبِيحَةِ مُحْرَقَةٍ.» (حكمة سليمان ٣ : ٥-٦).

اليوْم كَنُورٍ بَهِيٍّ لِلْمجْد اَلمُقدس قد أَشرَق عِيد اليوم لِتذْكَار تَجدِيد أي تَدشِين وَتكرِيس هَيكَل **القدِّيس اَلشهِيد اَلعظِيم جاورجيوس** أيْ نَقْل جَسدِه اَلكرِيم وَوضعِه فِيه. فِي خِضَمِّ الارتباكات وَفِي ظِلِّ الصِّرَاعات الحربيَّة فِي الأرضِ المقدَّسَةِ الممتحنة بِشَتى أَنوَاع التَّجارب.

خِتامًا نَتَضرَّع نَحْن أيهَا الإخوة اَلأحِبة إلى أبِ الأنْوار لِكي بِشفاعات **الفائقة البركات المجيدة سيِّدتنَا، وَالِدة الإله الدَّائمة البتوليَّة مَريَم** وبتوسُّلات القدِّيس اَلعظِيم فِي الشُّهداء جاورْجيوس، اللَّابس الظَّفر أنْ يُشرِق بنور مَحبتِه اللَّامتناهية لِلْبشر على أذهَان اَلحُكَّام والرُّؤساء وينيرهم ويوجِّه خُطواتهم إلى طريق السَّلَام والْمصالحة والتَّعايش. آمين.

إلى سَنَواتٍ عَدِيدَةٍ سَلامِيَّة

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

حان الوقت لطرح الأسئلة، يا أبنائي. **السّؤال الأوّل**: «من فضلكَ، هل لكَ أنْ تقول لنا بإيجازٍ، ما الاختلافات بين **المسيحِيَّة**، **والأديان والهرطقات الشّائعة**»؟

أودُّ أنْ أترك **موضوع الهرطقات** خارجًا عن نطاق المسألة؛ لأنّ **الهرطقات**، هي انحرافٌ عن **حقيقة المسيحِيَّة**. أقول مرّةً ثانية، الهرطقة هي تفسيرٌ منطقيّ للعقيدة المسيحِيَّة. عندما أسعى لأنْ أفهم سِرًّا ما، أو إعلانًا ما، بطريقةٍ منطقيَّةٍ، أقع **في الهرطقة**. على سبيل المثال، أُحاول أن أُدرك كيف **أنَّ الله ذو ثلاثة أقانيم، مع أنّه واحدٌ**. لا يوجد تشبيهٌ نقارنه به، سواءً أكيميائيًّا كان أم ميكانيكيًّا، أم منطقيًّا، لأفهم الثّالوث. أنا أقبله ببساطة. ولكنّني إذا قُلتُ: «من غير الممكن وجود ثلاثة أقانيم، ولذلك أرفض الاثنين، وأقبل واحدًا منها؛ لأنّني أجد صعوبةً في فهم كيف أنّ الله، ذو ثلاثة أقانيم ...» فهذا يسمّى **هرطقة**.

لهذا، فإنَّ **الهرطقة**، هي ظاهرةٌ تنبع من «داخل المسيحِيَّة» *(Intra-Christian) (ενδοχριστιανικές)*؛ أمّا عندما نتحدّث عن دياناتٍ أخرى، فإنّ الأمر مختلفٌ تمامًا.

سأُجيب عن السّؤال، على النّحو التالي: في موضوع سائر الأديان القائمة، **كالبوذِيَّة** على سبيل المثال، أُكرّر، باستثناء البِدَع المسيحيّة، سأقول لكم كلمَتين وتذكَّرُوهما. هذه الديانات، تنبع من «**داخل العالم**» ***(inner world) (ενδοκοσμικές)***. إنّها **دياناتٌ مُبتَدَعة** ***(Innovative religions) (κατ'επίνοια)*** وتعني أنّني بِعَقلي أبتدع أمرًا ما. يتكلّم **الرّسول بطرس** على «خرافات مُصنَّعة» (٢ بطرس ١: ١٦): وهذه تكون إذا ما سعيتُ إلى تأسيس دينٍ وتنظيمه. فأقول: «يُشبه الإنسان كذا وكذا....، والنّفس هي كذا وكذا....، والخلاص يرمز إلى كذا...إلخ». اِنتبهوا إلى ما أقول، فهذه دياناتٌ مُبتدَعة. فهذه

الأديان تبدأ من الإنسان، وتنتهي عند الإنسان. إنّها حلقةٌ، تنطلق «من الإنسان وتصبّ في الإنسان». ليس لديها ما تُقدِّمُهُ. أمَّا من جهةِ الخلاص، فبالرّغم من أنَّ هذه الأديان المُبتدَعة لا تذكر أمر الخلاص، وإنْ تكلّمَتْ عليه، إلّا أنَّ كلامها لا يتعدَّى القول المعروف: «إذا أردتُ أن أرفع ذاتي شاذًّا رأسي...» يستحيل عليَّ أنْ أرفع ذاتي. فإذا كان وزني مئة كلغم، أقدر أن أرفع كيسًا من القمح، إلّا أنّني لا أقدر أنْ أرفع ذاتي إذا كان وزني مئة كلغم. **لماذا؟** من منكم يعرف السّبب؟ الفيزياء تقدّم لنا الجواب: «القِوَى هي نظامٌ مُغلق» هذا ما نقوله في الفيزياء، ولذا يستحيل عليَّ أن أرفع ذاتي. القِوَى هي خارجِيَّة. لذا **لا يمكنني** أنْ أُخلِّص ذاتي، بغضِّ النَّظر عن مقدار رغبتي بذلك، وعمَّا أستخدمه للِّحاق به، أو البناء الَّذي أرفعه. فهذا غير ممكن؛ لأنَّ كلَّ هذه الأشياء تنبع من العالم. وعلى هذا، لا بدَّ من أنْ تأتيَ قُوَّةٌ من الخارج. ما هذه القوّة؟ بالنّسبة للأديان الأخرى، هذه القوّة الخارجِيَّة، غير موجودة.

ما المسيحيّة؟ المسيحيّة، هي كشفٌ إلهيّ. عندما يُكشَف أمرٌ ما، فهذا يعني أنَّهُ غير مُختَلَق. وماذا يعني الكشف؟ عندما يكون أمرٌ مخفيّ، أُزيل مايَخفيه وأكشفه (أُظهره). فالمسيحِيَّة موجودةٌ، وخلاص الإنسان مُعلَن. إذن **ما المسيحيّة؟** إنّها كشفٌ إلهيّ. زيادةً على ذلك، إنّها حقائق؛ إنّها تاريخ. هل تعلمون مدى أهميَّة ما أقوله الآن؟ إنَّ المسيحِيَّة، هي حقائق وتاريخ. لقد صار **المسيح**، إنسانًا حقًّا، ومات حقًّا، وقام حقًّا، وصعِد حقًّا. هذه حقائق. وحقًّا سوف يعود. كما يقول **باسكال**، إذا قيل عشر نبوءاتٍ، وتحقّقت تسعٌ منها، يبقى أن تتحقّق العاشرة. هذا كلّه، تمّ في وجه **المسيح** كحقائق، كتاريخ. وماذا بَقِيَ الآن؟ بقِيَ مجيئه الثّاني. في الختام، هذا هو الاختلاف الرَّهيب، الّذي نجاهر به أمام الأديان المُبتدَعة: إنَّ المسيحِيَّة، هي كشفٌ، وتاريخٌ، وحقائق. **خلاصنا، هو حقيقةٌ** وقد أكّدته الحقائق.

https://otelders.org/questions-and-answers-orthodox-christian/what-makes-christianity-different-from-other-religions-orthodox-teaching-of-the-elders/

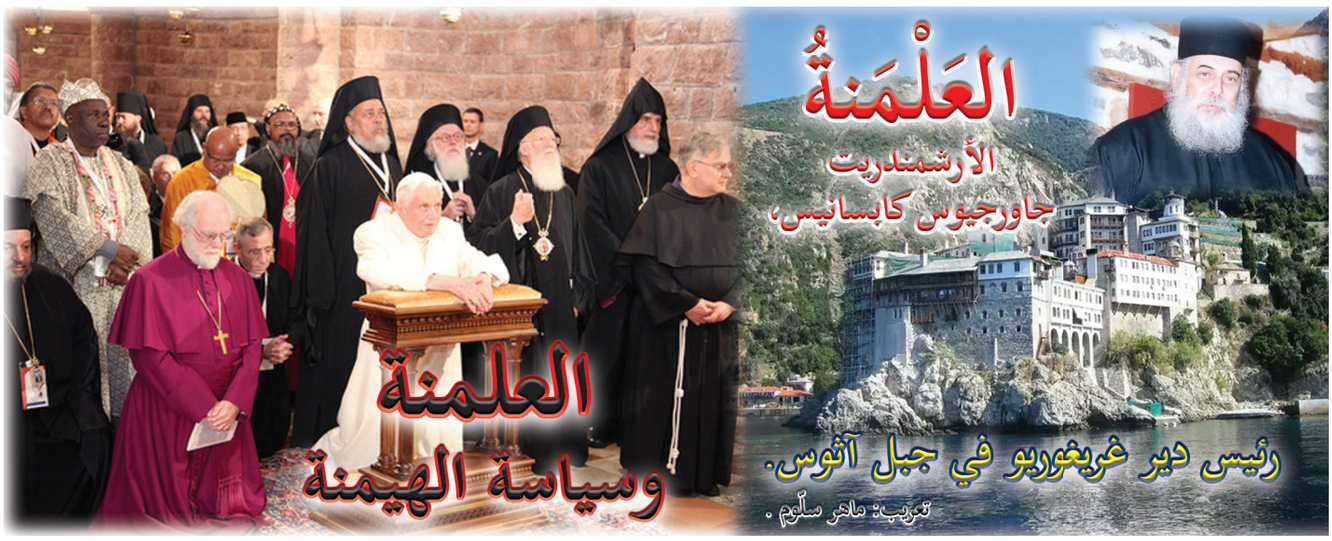

تواجه الكنيسة اليوم، جِدالًا مُشابهًا **للحرب** على الأيقونات: يَجري الضَّغط عليها من قِبَل المجتمع العِلمانيّ، لكي تتكيَّف مع قِيَمِهِ ومُثُلِهِ، كي تصبح الكنيسة **عِلْمَانِيَّةً** أيضًا.

خطرُ العَلْمَنة على الكنيسة كبيرٌ: بدل أنْ تساعد الكنيسةُ المجتمعَ كي يصبح كَنَسِيًّا، يحاول العالَمُ أنْ يؤثِّرَ على الكنيسة كي تتحوَّل إلى كنيسة **دهريّة**؛ إذًا، سوف تحافظ الكنيسة على شكلها وأُسُسِها، لكنَّها **ستفقد** إيمانها؛ سيكون مصيرها **مثل البابويّة** التي كتب عنها **القدّيس نكتاريوس**: «من خلال **عقيدة العصمة البابويّة**، فقدت الكنيسةُ الغربيّةُ حُرِّيّتَها الروحيّة، وفقدت حلاوة هذه الحرِّيَّة، وتزعزعت أساساتها، وحُرِمَت من نعمة **الرُّوح القُدُس** ومن **حضور المسيح**؛ فَحُوِّلَت من نفسٍ وروحٍ، إلى **جسدٍ أبكم**».

إنَّ جوهر **العَلْمَنة، هو مركزيَّة الإنسان**؛ أمَّا جوهر **الكنيسة**، هو **مركزيَّة الإله–الإنسان**. إذا فقدت الكنيسةُ أو ضاءلت طبيعتَها الإلهيّة–الإنسانيَّة ، فهي تنحدر من كَونِها رُكنًا دينيًّا إلى واحدة من أديان العالم المتعدِّدة.

يقبل الناس العِلْمانيُّون الكنيسةَ، على **أنَّها إحدى ديانات العالم**، وليس أنّها الحقيقة الوحيدة الّتي تُخلِّص النّاس **بالمسيح**؛ وبهذه الذِّهنيَّة، يحاولون مساواة الكنيسة الأرثوذكسيَّة **بالأديان الأخرى**. هذا يؤدِّي إلى **دين عالميّ، من خلال تَعاضُد الأديان جميعها**. والهدف **ليس** الحقيقة الَّتي تُخلِّص؛ **بل السّلام العالميّ**. بالطَّبع، هذا الطُّموحُ يَصُبُّ في مَصالِح قادة العالم في هذا الزَّمَن، الّذين يُريدون أنْ تخضع الدُّول لسلطتهم، وأنْ تكون سِلميَّةً (مُجبَرة على الإذعان) من خلال **اشتراك الأديان**.

للأسف لا يعترف الأرثوذكس **بالمسيح** في الاجتماعات ما بين الأديان؛ وهكذا يسمحون للكنيسة أنْ تكون في لائحة الأديان التَّوحيديَّة، إلى جانب اليهوديَّة والمحمّديَّة. لكن، **هناك تعليم أساسيّ في العهد الجديد وفي تعاليم الآباء القدّيسين**: إنَّ الّذين **لا** يؤمنون **بالأقانيم الثّلاثة في الثّالوث القدّوس، وبكلمة الله المُتجَسِّد؛ هم مُلحِدون**. «مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ.» (يو ٥:٢٣). «وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ» (يو٣:٣٦). وبحسب **القدّيس باسيليوس الكبير**: **«أولئك الّذين لم يؤمنوا بالابن؛ لا يؤمنون بالآب»**.

/https://pemptousia.com/2019/04/secularization

في ٢٧ نيسان ٢٠٢٣، كُشِفَ عن رفات ناسك التقوى المعاصر، **رئيس دير اسقيط برودورومو الروماني الآثوسيّ، الشيخ بترونيو**، الذي رقد **في الرَّبِّ** في ٢٢ شباط ٢٠١١. **الشيخ بترونيو** هو أحد المُعترفين الروحيّين الرومانيّين المُقتَرَح إعلان قداستهم لعام ٢٠٢٥. نُورد في هذا المقال نصيحة **الشيخ** حول عمل الصلاة.

– أَخبِرْنا عن الصلاة غير المنقطعة.

يقول الآباء القدّيسون إنَّ الصلاة هي «**حياةٌ للنفس**». كما أنَّ الجسد لا يبقى على قيد الحياة من دون هواء وبحاجة إلى التنفُّس باستمرار، هكذا لا تستطيع النفس أنْ تعيشَ لحظة واحدة من دون التواصل مع **الله**؛ عليها أنْ تتَّحد معه على الدوام وتُصلّي بلا انقطاع. لذلك، يوصي **الرسول بولس** أهل تسالونيكي ومن خلالهم جميع المسيحيّين: «صَلُّوا بِلاَ انْقِطَاعٍ.» (١تسالونيكي٥:١٧). يحاول المسيحيُّون على مَرِّ القُرون إتمام هذه الوصيّة. لكن بما أنَّ المسألة ليست بهذه البساطة، **يُعلِّمنا آباء الكنيسة كيفيَّة الصلاة بلا انقطاع.**

يقول **القدّيس مكسيموس المُعترف** واصفًا حديثَ أخٍ مع أبيه الروحيّ: «**وقال الأخ**: "كيف على الذهن أنْ يصلّيَ بلا انقطاع؟ في النهاية، نحن ننصرف إلى الكثير من الأفكار والتخيُّلات عندما نُرنِّم أو نقرأ أو عندما نلتقي بالآخرين وفي أثناء الخدمة". **فأجابه الشيخ:** "لا وصايا مستحيلة في الكتاب المقدّس، فالرسول بولس كان أيضًا يُرنِّم ويقرأ ويخدم، لكن مع ذلك كان يُصلّي بلا انقطاع. الصلاة المتواصلة كناية عن إبقاء ذهننا ملتصقًا بالله بوقار ومحبّة، ووضع رجائنا عليه دائمًا، والاتّكال عليه في كلّ شيء، مهما كنّا نفعل ومهما حدث."»

الصلاة المتواصلة الحقيقيَّة هي أوَّلًا وقبل كُلِّ شيء **شوق النفس إلى اللهِ** باستمرار، وليست **بإكثار الكلام المُنَمَّق.**

يحيا **الإيمان الحقيقيّ باللهِ** من خلال هذه الصلاة المليئة بالرجاء المُطلَق. كان **القديس بولس الرسول** يتمتّع بهذه السَّجِيَّة، فيقول: «مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ ٱلْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيقٌ... فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ، وَلاَ مَلاَئِكَةَ...» (رومية ٨:٣٥-٣٨). وأيضًا: «مُكْتَئِبِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لَكِنْ غَيْرَ مُتَضَايِقِينَ. مُتَحَيِّرِينَ، لَكِنْ غَيْرَ يَائِسِينَ. مُضْطَهَدِينَ، لَكِنْ غَيْرَ مَتْرُوكِينَ. مَطْرُوحِينَ، لَكِنْ غَيْرَ هَالِكِينَ. حَامِلِينَ فِي ٱلْجَسَدِ كُلَّ حِينٍ إِمَاتَةَ ٱلرَّبِّ يَسُوعَ، لِكَيْ تُظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضًا فِي جَسَدِنَا.» (٢ كورنثوس ٤ : ٨-١٠).

في هذه الحالة، صلَّى الرسول بلا انقطاع، لأنَّه وضع رجاءه على **الرَّبِّ** في كلِّ ما كان يصنع وكلّ ما كان يحدث له.

يُعلِّمنا **القدِّيس باسيليوس الكبير** في أحاديثه *(dialogues)* وعظاته كيفيَّة اكتساب الصلاة غير المنقطعة:

«الصلاة هي التماس المؤمن من اللهِ اقتناء بعض الصَّلاح. ليس بالضرورة أنْ تتمّ هذه الطلبة بالكلمات، ولا أعتقدُ بأنَّ الله يحتاج إلى أنْ نُذَكِّره باحتياجاتنا عن طريق الكلام، لأنَّه يعلم ما هو جيِّدٌ لنا، حتّى لو لم نطلبه منه.

ليس من الضروريّ أنْ نصلّي باستخدام الكلمات– من الأفضل تعزيز قُوَّة الصلاة بإرادة النفس الحرَّة والأعمال الفاضلة التي تمتدُّ طيلة حياتنا. «فَإِذَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ أَوْ تَشْرَبُونَ أَوْ تَفْعَلُونَ شَيْئًا، فَافْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ لِمَجْدِ اللهِ.» (١ كورنثوس١٠:٣١). عندما تجلس لتناول الطعام، صلِّ؛ عندما تأخذ خبزك لتأكل، اشكر الذي أعطاك إيَّاهُ؛ عندما تشرب الخمرَ لتشديد جسدك، تذكَّر الله الذي منحك هذه العطيَّة لإفراح القلب والتخفيف من الأمراض. عندما تأكل حتّى الشَّبع، لا تنسَ المُحسِن إليك؛ عندما ترتدي ثوبك، اشكر الذي أعطاك إيَّاه؛ عندما ترتدي لباسك، لتتضاعف محبَّتك للهِ الذي أعطانا لباسًا مناسبًا لِفَصلَي الشتاء والصيَّف– لباسًا يحفظ حياتنا ويُغطِّي عَورَتَنا.

عندما ينقضي النهار، أُشكر الذي أعطانا الشَّمس لنتمكَّن من إتمام أعمالنا اليوميَّة؛ والذي أعطانا النَّار لإنارة ظلمة اللَّيل وخدمة احتياجاتنا اليوميَّة الأخرى.

لعلَّ اللَّيل يعطيك أسبابًا أُخرَى للصلاة. عندما ترفع عينيك إلى السماء وتُعاين جمال النجوم، صَلِّ واسجُد للرَّبِّ، مُبدِع الكون الفائق، الذي صنع كُلَّ الأشياء بحكمةٍ. عندما ترى أنَّ كلَّ المخلوقات خلدت إلى النوم، أُسجد مرَّةً أخرى للرَّبِّ، الذي سمح لنا على خلاف إرادتنا، بتعليق عملنا لكي ننام ونرتاح قليلًا، وبالتالي نُجدِّد قُوَّتنا لمواصلة عملنا من جديد.

لا تُكرِّس ليلتك كلَّها للنوم؛ لا تجعل نصف عمرك باطلًا بالسماح لنفسك بالنوم، بل قَسِّم ليلتك بين النوم والصلاة. حتَّى الأحلام تُعطيك فرصة للتأمُّل في الإيمان. في معظم الأوقات، تكون الصُّور في أحلامنا نتيجةً لمخاوفنا في أثناء النهار. ما يُقلقنا خلال النهار، يُوافي أيضًا إلى أحلامنا.

بممارسة ذلك، سوف تُصلِّي بلا انقطاع. لا تُصَلِّ بالكلمات فحسب، بل باتّحاد حياتك كلّها بالله، حينها سوف تكون حياتك صلاةً متواصلة وغير منقطعة.»(١)

– أَخبِرنا عن الصلاة المستمِرَّة التي تأتي من جرَّاءِ ترداد: «يا ربّي يسوع المسيح، يا ابن الله، ارحمني أنا الخاطئ.»

هذه هي الصلاة الهدوئيَّة أو صلاة النُسَّاك، لأنَّ الرهبان الذين نبذوا العالم **وَفَرُّوا** منه ليكونوا ملتصقين **بالله** على الدوام، هم الذين يُردِّدون هذه الصلاة بشكلٍ خاصّ. لهذه الغاية، وجدوا صلاةً قصيرة: **«يا ربّي يسوع المسيح، يا ابن الله، ارحمني أنا الخاطئ.»**

كلُّ راهب يأخذ الاسكيم الملائكيّ، يُوصَى بتلاوة هذه الصلاة بغير انقطاع، ويُعطى مسبحة صلاة لتلاوتها. غير أنَّ الرهبان لهم في الدير الحياة الليتورجيَّة والخِدَم الكنسيَّة اليوميَّة، كما أنَّهم يعملون من أجل حُسن تدبير الشَّركة. لذلك، أصبحت الصلاة غير المنقطعة عمل النُسَّاك الذين يعيشون حياة منعزلة وبسيطة ونُسكيَّة، الذين يتَّخذُون الصلاة بلا انقطاع عَمَلَهم الأساسي. لقد واجه النُسَّاك **بعض الصعوبات** عند ممارسة هذه الصلاة، لذلك، **وضعَ بعض الآباء الذين نجحوا في اقتنائها، فنًّا روحِيًّا** – طُرُق ووسائل للتغلُّب **على هذه الصعوبات.**

نجدُ الكثير من هذه الوسائل في **كتاب الفيلوكاليا**، عند **القدِّيس نيكيفوروس الناسك وغريغوريوس السينائي وسمعان اللاهوتيّ الجديد** وغيرهم. من يرغب في ممارسة الصلاة غير المنقطعة، عليه أوَّلًا اكتساب حالة روحِيَّة مُعيَّنة وضمير نقيٍّ تجاه **الله والقريب والأشياء:**

تجاه الله، بِعَدَمِ القيام بأيِّ شيء لا يُرضيه؛

تجاه القريب: بمعاملته كما نريد أنْ نُعامَل؛

تجاه المادّة: من خلال الزُّهد في كُلِّ شيء: في الطعام والشراب واللِّباس والإنفاق على ما هو ضروريّ.

إفعل كُلَّ شيء كأنَّكَ واقفٌ أمام الله، آنذاك تصل إلى اللاهوى، أي أنْ تكون متَحرِّرًا من كُلِّ هَوى. لنْ تبدأ بالصلاة بلا انقطاع إلَّا عندما تكتسب كُلَّ ذلك.

ممارسة الصلاة غير المنقطعة ليست بهذه السهولة حتَّى بالنسبة إلى النُسَّاك، وهي أسهلُ بالنسبة إلى الناس الذين في العالم. يستطيع الإنسان في العالم أيضًا ممارسة صلاة النُسَّاك: «يا ربّي يسوع المسيح، يا ابن الله، ارحمني أنا الخاطئ»، لكن لا يعني ذلك أنَّه أصبح ناسكًا أو هدوئيًّا أو أنَّ الهدوئيَّة انتقلت إلى العالم – فسيكون هذا أسهل طريق للناس اليوم، كما قال البعض. يُمارس المسيحيُّون في العالم أيضًا صلاة النُسَّاك، لكن على قدر ما هو ممكن في العالم، مع النتيجة النسبيَّة المؤاتية لذلك.

في العالم الروحيّ قَولٌ في هذا الصدد: «العظيم ليس عظيمًا بالنسبة إلى الصغير، والصغير ليس صغيرًا بالنسبة إلى العظيم.» المعنى واضح: **الصلاة الهدوئيَّة** سهلة وقصيرة، لكنَّها ليست بسيطة بالنسبة إلى النُسَّاك؛ بالمقابل، صلاة النُسَّاك عظيمة بالنسبة لهم، ولكنَّها بسيطة بالنسبة إلى إنسان في العالم.

– كيف نقتني ضميرًا سليمًا تجاه الأشياء؟

أبدعَ الله الأشياء ولا يمكننا العيش من دونها. فبعضها يخدمنا كطعام، وبعضها الآخر يخدم احتياجاتنا الأخرى. نستخدم الأشياء كُلَّ حياتنا، لكنَّها لم تُخلَق للمنفعة الجسدِيَّة فحسب، بل الروحِيَّة أيضًا. للأشياء لغتها الخاصَّة، إنْ فهمناها، نتَعلَّم العيش بطريقة روحِيَّة صحيحة.

يشرح **القدّيس مكسيموس المُعترف** بالتفصيل كيفيَّة فهمها، في الجزء الثالث من **الفيلوكاليا** (٢) . وضع الله في الإنسان الحاجة إلى الطعام(٣)، على الرغم من أنَّه كان باستطاعته خَلقَه من دونها. خلق الله **الإنسان** ليعيش من الأشياء الدُنيا حتّى يفهم أنَّه ليس كائنًا من تلقاء ذاته، وأنَّه لا يعيش من ذاتِهِ. لم يَخلق الإنسان ذاته، فهو يعيش بفضل الأشياء الأدنى منه. أجبرَتهُ الحاجة إلى الطعام على **التواضع**، وإدراك أنَّه ليس كما **اعتقدَ لوسيفوروس نفسه، مُتوهِّمًا بكبرياء بأنَّه سيصعد إلى السماء بنفسه ليصبح أرفع من الله.**

ليس الإنسان جسدًا فحسب، إنَّما نفسٌ أيضًا، وكما أنَّ الجسد يحتاج إلى طعام، هكذا تحتاج النفس إلى الله والطعام الروحِيّ. غذاء النفس هو الصلاة والتأمُّل بالإلهيَّات. لأنَّه كما أنَّ الإنسان لا يستطيع أنْ يعيشَ من دون هواء أو طعام للجسد، هكذا لا يستطيع أنْ يعيشَ من دون طعام إلهيٍّ للنفس. عليه أنْ يكون على تواصل دائم مع الله من خلال الصلاة غير المنقطعة. خلقَ الله **الإنسان لهدف**، وإذا فهمنا لماذا خَلَقَهُ الله بهذه الطريقة، نفهم عندئذٍ كيف نحيا حياةً روحِيَّة.

دنَّس الإنسانُ الطبيعةَ بعدم إدراكه للجانب الروحيّ. لم يستثمرها كما ينبغي، بل أفسدها بالسلطان الذي له عليها، والآن، الطبيعة تنتقم منه. بعدم امتلاكه للفهم الصحيح، أفرط في استغلالها في سبيل الجسد وحده؛ لذلك، كُلُّ الأخطاء التي ارتكبها بحقِّها عادت عليه **بالخراب.**

على الإنسان الاعتدال دائمًا في استهلاكه للطعام والأشياء. على سبيل المثال، **التلفاز** ليس مفيدًا للإنسان، فهو ليس ضروريًّا. كون الإنسان عاش لمدَّة ألفي عام من دون **تلفاز**، فهذا يعني أنَّ **التلفاز** ليس حاجة فعليَّة للإنسان، **إنَّما حاجة وهميَّة ومُختَلَقة.** إنَّني أحتاج لتغطية جسدي، لكن بِرداء بسيط، وليس بِرداء مصنوعٍ من حريرٍ باهظ الثمن.

الاعتدال أمرٌ ضروريٌّ جدًّا. أرتدي ملابس زهيدة الثمن، فهي لا تلفت الانتباه كثيرًا. أُنفق بكمِّية أقلّ، فأحظى بالمزيد من الوقت للأمور الروحِيَّة. **الذين يعيشون في الاعتدال هم أكثر صحَّة من أولئك الذين يعيشون في التُّخمة.**

html.153683/https://orthochristian.com

(١) *St. Basil the Great, Dialogue 5: In Memory of the Martyr Julitta.*

(٢) في الفيلوكاليا الرومانيَّة، يحوي الجزء الثالث أسئلة ثالاسيوس ال٦٥ للقديس مكسيموس.

(٣) بتعبير أكثر دقّة، خُلِقَ الإنسان بحاجة للطعام بعد سقوطه في الخطيئة. لقد خُلِقَ الإنسان بدون أي حاجات جسديّة، ولم يكن ليموت طالما لم يخطأ. يعلّم القديس مكسيموس في *Ambiguum 8*: «إن الله، حالما سقطت البشريّة... قد أعطى الجسدَ قابليَّة المُعاناة، وخبرة الفساد، والانحلال الكامل ـ كما يظهر عندما غطَّى الله الجسد بأقمصة جلديَّة.»

هناك نوعان من التّجارب. في بعض الأحيان، يُجَرَّبُ القلبُ بالضِّيقات، فتفحصُهُ وتختبره بالصَّبر، كالذَّهب في البودقة (سفر الحكمة ٣:٦). وفي أحيانٍ أخرى، تأخذ التجربةُ شكلَ الرَّفاهِيَّة عند العديد من النَّاس، فكما أنَّه من الصَّعب أنْ تبقى النَّفسُ بعيدةً من شِدَّةٍ ما، كذلك يصعب عليها أن تبقى بعيدةً من التَّكبُّر النَّاجِم عن المجد.

أيُّوب، هو أحد الأشخاص الَّذين يُضرب بهم المثل، عندما نتكَّلم عن التَّجارب. هذا المُجاهِد العظيم، الَّذي لا يُهزَم الَّذي بعقلٍ ثابتٍ وقلبٍ لا يتزعزع، استطاع أنْ يحدَّ من **قُوَّة الشَّيطان وقساوته**، الفائض عليه كالسَّيل. فكُلَّما ازدادت صعوبة المِحَن والمُعاناة النَّاجمة عن **الشَّيطان** وعَظُمَت، أظهَرَ **أيُّوب** انتصارًا أكبرَ على التَّجارب.

أحد الأمثلة، عن التَّجربة الَّتي من الرَّفاهِيَّة، هو هذا الانسان الَّذي قرأنا عنه للتَّوِّ، والَّذي كان فاحِشَ الثَّراء، ولكن كان يطمح بالمزيد.

في بادئ الأمر، لم يحكم عليه **الله**، المُحِبُّ للبشر؛ بسبب غباوة تصرُّفه، بل أضاف ثروةً على ثروَتِهِ، آمِلًا أنْ يحقِّقَ له الاكتفاء الذَّاتيّ، معيدًا نفسَه إلى صَوابِها. يقول الإنجيل: «إِنْسَانٌ غَنِيٌّ أَخْصَبَتْ كُورَتُهُ، فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ قَائِلًا: مَاذَا أَعْمَلُ، لأَنْ لَيْسَ لِي مَوْضِعٌ أَجْمَعُ فِيهِ أَثْمَارِي؟ وَقَالَ: أَعْمَلُ هذَا: أَهْدِمُ مَخَازِنِي وَأَبْنِي أَعْظَمَ» (لوقا ١٢: ١٦-١٨).

لماذا أثمرت الأرض، وأنتجت بِوفرةٍ لرجُلٍ، لم يكن ينوي أنْ يفعل أيَّ صَلاحٍ بهذا المحصول الوفير؟ لكي يَظهر **صبرُ الله العظيم وسخاؤه اللّامحدود**. فهو يشرق شمسَه على الأشرار والصَّالحين، ويمطر على الأبرار والظَّالمين (متى ٥:٤٥). غير أنَّ **رأفة الله** هذه، تجلب عقابًا قاسيًا على صانعي الشَّرّ. لقد أرسل المطرَ على الأرض المزروعة بهذه الأيدي الجَشِعة. أعطى الشَّمسَ كي تُدفِئ البِذار، فيَكثُرُ الثَّمر. لقد أعطى الله ما يلي: الأرضَ الخصبة، والظُّروف المُناخيّة المناسبة، والبِذار المُنتِجة، والنِّيران لِفلاحة الأرض، وسائر الأمور الأخرى الضَّروريَّة لازدهار الزِّراعة. **وماذا قدّم الانسان؟ السّلوكَ السيّئ والبُخل**. هذا ما أعطاه في المقابل إلى المُحسِن. لم يفكّر في مشاركَةِ فائض ثرواته ووفرتها، للآخرين المُحتاجين.

لم يُعِرْ أيَّ انتباهٍ للوصايا، «لاَ تَمْنَعِ الْخَيْرَ عَنْ أَهْلِهِ، حِينَ يَكُونُ فِي طَاقَةِ يَدِكَ أَنْ تَفْعَلَهُ.» (أم٣:٢٧)، وأيضًا، «لاَ تَدَعِ الرَّحْمَةَ وَالْحَقَّ يَتْرُكَانِكَ.» (أمثال ٣:٣)، «أَلَيْسَ أَنْ تَكْسِرَ لِلْجَائِعِ خُبْزَكَ؟» (اشعياء ٥٨:٧). ولم يسمعْ ما نادى به جميع الأنبياء والمعلِّمين، ولكنَّ مخازنَه كانت تنفجر من كمِّيَّة الثَّروات المُخزَّنة فيها، **وقَلْبُه البَخيل لم يشبع**. حتَّى إنَّه وقع بمشاكل يَعسُرُ حلُّها، فيما كان يُكدِّس ثرواتٍ جديدةً، سنةً بعد سنةٍ، فوق ما يملك. مَنَعَهُ طَمَعُهُ من التَّخلِّي عمَّا يملك، ولكنَّه لم يستطع إيداعَ أيِّ ثروةٍ جديدةٍ، نَظَرًا لِمَحدودِيَّة مساحة مستودعاته. ما جعل هُمومَه كثيرةً، لا نهاية لها، ومَخاوِفَه مُستَعصِية.

ماذا أفعل؟ مَن لا يشفق على إنسانٍ شديد الاضطراب؟ إنَّهُ تعيسٌ بسبب رَفاهِيَّته، وبائسٌ بسبب ما يمتلكه، وأكثر بُؤسًا بسبب ما كان يترقَّبه. ها هي الأرض لا تُنتِجُ له غلَّةً، بل تُلقي على عاتِقه مَحصولًا من الأنين، وبدلًا من وفرة الثِّمار، تعطيه همومًا وأحزانًا وصُعوباتٍ فظيعةً ورهيبة. إنَّهُ يندب كالفقير. أليسَ هذا صُراخ الَّذين يُعانون الفقرَ المُدقِع؟ ماذا أفعل؟ من أين أُحضِر الطَّعام؟ من أين آتي باللِّباس؟ هذا أيضًا ما يقوله وينطق به الرَّجلُ الغنيُّ. قلبه مُغْتَمٌّ، والهمومُ تأكله. إنَّ ما يجلب الفرح للآخرين، يُبدِّدُ البُخلَ. إنَّه لا يفرح بما لديه من ثرواتٍ فائضةٍ؛ لأنَّها تجلب المعاناة لروحِهِ. تَملأ خزينتَه وتفيض، لئلَّا تصيرَ مُلكًا لأحدٍ غريبٍ وتُشكِّل بداية عملٍ صالحٍ للمحتاجين.

يبدُو لي أنَّ الهوى الَّذي يُعانيه، يشبه الشَّرِهين الَّذين يفضِّلون التُّخمة من كثرة الأكل، على أنْ يُعطوا بعض الفَضَلات للمحتاجين. فكِّرْ، أيُّها الانسان، بِمَن أعطاكَ ما تملك. تذكَّرْ نفسَكَ مَن أنت، وما واجبك، وممَّن أخذتَهُ، ولماذا فُضِّلْتَ على الآخرين. لقد أصبحتَ وكيلًا **لله الصّالح**، ومُشرِفًا على زملائك العبيد. لا تَعْتقِدَنَّ بأنَّ كُلَّ شيءٍ قد أُعِدَّ من أجل مَعِدَتِكَ. اعتبِرْ أنَّ ما لديكَ هو لغيرِكَ. هذا سيجلب لك السُّرور، لفترةٍ قصيرةٍ، ثمَّ سيَتَبدَّدُ ويتركك، لكن سوف يتوجَّب عليك **تَسديدُ حسابٍ صارِمٍ**. مع ذلك، مُمتلكاتُكَ كلُّها مَضبوطةٌ خلف أبوابٍ مغلقة. بالرَّغم من الأقفال التي وضعتَها، تستيقظ من نومكَ مع هُمومك، وترسم خُطَطًا لنفسك، جاعلًا نفسَكَ مُرشِدًا غبيًّا لنفسك.

ماذا أفعل؟ إنَّهُ لَمِنَ الأسهل القول: «سأملأ أنفُسَ الفقراء، وسأفتح مخازِني وأنادي جميع المحتاجين. سأتشبَّه بيوسف في أعمال الإحسان، وسأقوم بخطوةٍ شجاعةٍ وأُعلِنُ ذلك. يا جميع الَّذين ينقصهم الخبز، تعالَوا إليَّ، وشارِكوني العَطيَّة المُقدَّمة من الله، وليأخذ كلُّ واحدٍ حسب حاجته». واعتبِرْ أنَّ موارد الخير هي في داخِلِكَ، فلا تسعَ لاستعطاءِ الآخرين، بل ليأتِ الآخرون إليكَ طالِبين العَوْنَ.

أمّا الآن، فأنتَ مُكتئبٌ، وقد عزلتَ نفسَك، رافِضًا لقاء أحد، لئلّا تكونَ مُجبَرًا، على التّخلّي عن شيءٍ وإعطائه. تعرف ردًّا واحدًا فقط: **«لا أملك شيئًا. لن أعطيَ شيئًا؛ لأنّي فقير»**. حقًّا، إنّكَ فقيرٌ، وتفتقر لكلّ صلاحٍ. أنتَ عَديمُ الإحسان، وعَديمُ المحبّة لأخيك الانسان، وعَديمُ الإيمان **بالرَّبِّ الإله**، ومَحرومٌ من الأمل الابديّ. أعطِ إخوتكَ حِصّةً من حُبوبكَ، تلك الّتي لن تعطيَها غدًا، لِمَنْ هو بحاجةٍ إليها اليوم. أسوأ أنواع الطَّمَع، هو ألّا تُعطي مَن هم بحاجَةٍ، ما هو فائضٌ لديك.

إنّهُ يقول **(الغنيّ الجَشِع والبخيل)**: «هل أُعَرِّضُ أحدًا للأذى عندما أحتفظ بما هو لي؟»، قُلْ لي يا هذا، ما الأشياءُ الّتي لك؟ من أين أخذتَها وأدخلتَها إلى حياتك؟ تمامًا، كالشّخص الّذي يحضُر عرضًا مسرَحيًّا، ويحرم الآخرين، الّذين يتمنّون القدوم، مشاهدةَ العَرض، معتبرًا أنّ كلّ ما هو للاستخدام العامّ، يَخُصُّه وَحدَهُ فقط، كذلك هم الأغنياء. باستيلائهم على ما هو عامٌّ ومشترَكٌ، يجعلونَه مُلكَهم بدافعِ أولويّتهم. لو أخذ كلُّ شخصٍ ما يحتاج إليه لِتَلبية مُتَطَلّباته فقط، وترك الباقي للّذين هم بحاجةٍ، فلن يكونَ أحدٌ غَنيًّا، ولن يكونَ أحدٌ فقيرًا، ولن يكون أحدٌ محتاجًا فيما بعد. ألم تأتِ عُريانًا من بطن أُمِّكَ؟ ألن تعود عُريانًا إلى الأرض أيضًا؟ من أين حصلتَ على ما تمتلكه؟ إذا قلتَ إنّك حصلتَ عليه بالصُّدفة، فأنتَ مُلحِدٌ لا تعرف خالقَكَ، ولا تشكرُ المُحسِنَ إليك. إذا قبلتَ أنّه من **الرَّبِّ**، فأخبِرْنا إذن لماذا حصلتَ عليه؟ هل **اللهُ** غير عادلٍ عندما يُوَزِّعُ خيراتِ هذه الحياة علينا بطريقةٍ غير متساوية؟ لماذا أنت غنيٌّ وغيرك فقير؟ أليس كي تنال، أنتَ الغنيّ، ثَوابَكَ على حُسن إدارتك وإخلاصِكَ، وكي يُكَرِّمَ الفقيرُ بجوائزَ على صبره؟ أمّا أنتَ، فَبِجَمْعِكَ كُلَّ شيءٍ في أحضانِ الطَّمَع الّذي لا يشبع، تظنُّ أنّكَ لا تُؤذي أحدًا، في الوقتِ الّذي تحرم الكثيرين. **مَن البخيل؟** هو الّذي لا يَكتَفي. **من السّارق؟** هو الّذي يغتَنِم من الآخرين. ألستَ بخيلًا وسارقًا، عندما تستولي على ما أُعطيتَ لِتُدَبِّرَ وتُنَظِّمَ استخدامه.

الشّخص الذي يجرِّد شخصًا آخر من لِباسِه، يُدعى **لِصًّا**. هل يستحقُّ الشّخصُ، الّذي لا يَكسو العريانَ، وهو قادرٌ على ذلك، لقبًا آخر؟ الخبزُ الّذي تحتجزُه، هو مُلكُ الجِياع؛ الرِّداءُ في خِزانَتِكَ هو مُلك العُريانين؛ الأحذيةُ الّتي تتعفّن لديك، هي مُلك الحُفاة؛ الفضّة الّتي طمرْتَها، هي مُلك المحتاجين؛ وعلَيه، أنتَ مُخطئٌ في حِساب ما أنتَ قادِرٌ على تأمينِه وتوفيره.

أمّا هو **(الغنيّ الجَشِع والبخيل)** فيقول: «كلماتُك جيّدةٌ، ولكنَّ الذَّهبَ أفضلُ منها». هذا الحِوار، هو مثل مُناقشة العِفّة مع مَن مارس الجنس قبل الزّواج، فعندما يُدانُ عُشّاقُهم، ولِمُجَرَّد ذِكرِهم، تشتعل فيهم الأهواء.

كيف يمكن لي، أنْ ألفتَ انتباهكَ لِمعاناة الفقير، لكي تُدرك درجة الأسى الّذي تُسبِّبه للآخرين، وأنتَ تجمع ثروتك؟ في يوم الدَّينونة، كم ستكون لك قيمةُ الكلمات الآتية: «تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي.... عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي» (متّى ٢٥: ٣٤-٣٦).

أيُّ رعدةٍ، وأيُّ عَرَقٍ، وأيُّ حُزنٍ سيَعتَريكَ عندما تسمع هذا الحُكم: «اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ، لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي.... عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي» (متّى ٢٥: ٤١-٤٣). ليس المَقصودُ والمُتَّهَمُ هُنا، من أخَذ بالقوّة، إنّما من لم يشارك الآخرين ما له.

لقد قلتُ ما أعتقد أنّهُ نافعٌ. إنْ أخذتَ أقوالي بعين الاعتبار، يتّضح لك الصّلاح الآتي منها. لقد حُدِّدَ العقاب للعُصاة. أُصلّي كي تَنفذَ من تجربة هذا العقاب، بعد أن تُقَوِّمَ سُبُلَكَ؛ لكي تكونَ ثروتك فِدْيةً لك لدُخولِ ملكوتِ السّماوات، المُعَدِّ لك بنعمة الله، الّذي يدعونا الى مملكته، له المجد والمُلك إلى دهر الدّاهرين، آمين.

يجب ألّا نُنهِك أنفسنا بالقَلقِ على **الاحتياجات الجسديّة** مهما كان السبب. لنثق في الله من أعماق نفوسنا. كما قال أحد **الآباء**: «إئتمن نفسك عند الله والكل سوف يُؤمَن لك».

يكتب **بطرس الرسول**: «أَظْهِروا وداعة وتعفف .. وأصحوا للصلوات .. مُلْقِينَ كُلَّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ، لأَنَّهُ هُوَ يَعْتَنِي بِكُمْ.» (١بط). ولكن إذا ظَلَلْتَ غير متأكدٍ أو شكّاكًا ما إذا **الرَّبُّ** مهتمٌ حقًّا بأنْ يعولك، فَكِّر في **العنكبوت** وقارنه **بالكائن البشري**.

لا شيء أكثر ضُعفًا وبلا قُوّة أكثر من **العنكبوت**. إنّهُ لا يملك ممتلكات، ولا يقوم برحلات عبر البِحار، ولا ينشغل برفع دعاوي قضائيّة، ولا يصيح غاضبًا، ولا يُكَدِّس مُدّخرات. حياته تتميّز بالوداعة التّامة، وَكَبْحِ النفس، وهدوءٍ تام. إنّهُ لا يتدخل في شُئون الآخرين، ولكن يهتم بشئونه، بهدوء وسكون يتقدم في عمله. ويقول في الواقع لهؤلاء الذين يحبون البطالة: «أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُرِيدُ أَنْ يَشْتَغِلَ فَلاَ يَأْكُلْ أَيْضًا» (٢ تسالونيكي٣: ١٠).

العنكبوت صامت أكثر من **فيثاغورس**، الذي أُعْجِبَ به اليونانيّين القُدماء أكثر من أي فيلسوف آخر بسبب تحكُّمِهِ في لسانه. ومع أنّ

فيثاغورس لم يكن يتكلَّم مع أيِ أحد، إلَّا أنَّهُ تكلَّم أحيانًا في السِّرِّ مع أصدقائه المقربين، وكثيرًا ما أَسْرَفَ في ملاحظات تافهة عن **الثور والنسور**. لقد آمتنع تمامًا عن الخمر وشَرِبَ الماء فقط. إلَّا أنَّ **العنكبوت** حقَّقَ أكثر من **فيثاغورس**: لم يتلفظ أبدًا بكلمة واحدة، وآمتنع عن الماء وعن الخمر. عائشًا بهذا المظهر الهادئ، متضعًا وضعيفًا، لا يذهب أبدًا مُتَجَوِّلًا على هَواهُ، دائمًا مجتهدًا في عمله، لا يوجد شيء متواضع أكثر من **العنكبوت**.

«مَنْ مِثْلُ الرَّبِّ إِلهِنَا الَّذِي يَسْكُنُ فِي العَلاَءِ. وَيَنْظُرُ المتطأمنات فِي السَّمَاءِ وَفِي الأَرْضِ» (مز١١٢:٥-٦)، يبسط عنايته حتى على **العنكبوت**، مُرسلًا له طعامه كُلَّ يوم، وجاعلًا الحشرات الضئيلة تسقط في شَبَكَتِهِ. **(تَطَأْمَن : مطاوع طَأمنه، إذا سكن أو انخفض)**

ربما يعترض الشخص المُستَعْبَد للطمع: إنَّني آكل كميَّة كبيرة، وحيث أنَّ هذا يورطني في نفقات ثقيلة، فإنني أنشغل حَتْمًا بكُلِّ أنواع الأعمال الدنيويَّة.

مثل هذا الشخص يجب أنْ يفكر في **الحيتان الضخمة** التي ترعى في المحيط الأطلنطي.

الله يعطيهم بوفرة ليأكلوا، ولا تموت من الجوع أبدًا، بالرغم من أنَّ كُلًّا منهم يلتهم يوميًّا أسماكًا تفوق تلك التي تستهلكها مدينة مزدحمة بالسكان.

«كُلُّهَا إِيَّاكَ تَتَرَجَّى. لِتُعطيها طعامها فِي حِينِهِ.» (مز١٠٣:٢٧).

إنَّهُ **الله** الذي يمدُّ بالطعام كُلًّا من هؤلاء الذين يأكلون كثيرًا وهؤلاء الذين يأكلون قليلًا. وبوضع هذا في الذهن فإنَّ أيِ واحدٍ بينكم له شهيَّة متَّسعة يجب أنْ يضع في المستقبل إيمانه بالكامل في **الله**، محرِّرًا فكره من كل تَشتُّتات وتخوفات عالميَّة. «وَلاَ تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا» (يوحنا ٢٠:٢٧).

إنَّكَ تكتبُ أنَّ **اليأسَ** يستولي عليكَ، بالرَّغْمِ مِنْ قراءتكَ الكُتبَ الرُّوحيَّة. **أنتَ تَغْصُبُ ذاتَكَ** على الصَّوم، وَالسَّهر، وَالصَّلاة، ولا تعرفُ لِماذا تفعل هذا كلَّه. أنتَ تعلم أنَّه ينبغي لك، أنْ تقومَ بذلك من أجل محبَّة **الله**؛ لكنَّك لا تشعرُ بهذه المحبَّة في داخلك، بل تتقاذفُ بكَ **الأفكارُ الشرّيرة**. تتدفّقُ الأهواءُ كَالشَّلَّال مِن قلبكَ، الواحدُ تِلوَ الآخر، وأنتَ تلتمسُ نصيحَتي بِشأن هذا الوضع المُزعِج، واضِعًا رجاءَكَ في **الرَّبِّ** القادرِ على أنْ يخلِّصكَ بِقوَّته.

إنَّ قراءة الكتبِ الآبائيَّة، مفيدةٌ وَضروريَّةٌ، شرطَ أنْ ترغبَ في معرفةِ مشيئة **الله**. لقد حَفِظَ الآباءُ كلمةَ **الله**، كما سُلِّمَتْ لنا في الكتب المقدَّسة. لقد اختبروا الحقيقة، وقدَّموا لنا أفضل الأمثلة، عبرَ حياتهم وتعاليمهم. إنْ كنتَ تقرأُ الكتابَ المقدَّس **وحدَه**، **وَلا** تقرأ الآباء، فلن تتعلّمَ كيف عاشوا، أو كيف خاضوا الحرب الرُّوحيَّة. سَتعتقدُ أنَّك تستطيع تدبيرَ أمورك بِنفسك، وأنَّ عَزيمَتَكَ لنْ تضعف. عندما تقرأ نصوصًا للآباء القدِّيسين، عليك أنْ تحاولَ تطبيق ما يقولونه لك. إنْ لم تَصل **إلى قامَتِهِم**، عليك أنْ تعترف بِضعفكَ، وأنْ تتواضعَ؛ كي تُؤَهَّل لِنَيل رحمةِ **الله**، الَّتي تنسكب بِفَيضٍ على المُتَواضِعين.

نقرأ في **كتاب الشّيوخ**، الآتي: سأل أحدُ الإخوة **الشّيخَ**: «ماذا ينبغي لي فِعلُه، عندما أقرأُ نصوصًا للآباء القدِّيسين، من دون أنْ أُطَبِّقَ ما يقولون؟». أجابَه **الشّيخُ**: «إذا كنتَ تقرأُ كلماتِ الآباء القدِّيسين، ولا تُنفِّذها، تَواضَعْ فيرْحَمَكَ **الله**. لكن إنْ كنتَ لا تقرَؤها، فلن تتواضعَ، وَ**الله** لن يرحمَكَ أيضًا». هكذا هي الحال، قراءةُ الكتب التَّعليميَّة مع النَّصائح العمليَّة، لها فائدةٌ كبيرةٌ.

أنتَ تقول، إنَّك تمارسُ الفضائل الجسديَّة، ولا تعرف لماذا تفعل ذلك. ليس صحيحًا. أنتَ تمارس هذه الفضائل، بِدافِع محبَّتك **لله**. قد تكون أفعالُكَ ناقصةً، لكن في داخلك قد زُرِعتْ بذرةٌ صغيرةٌ من المحبّة **لله**، بوساطة الإيمان.

إنْ كُنَّا نقرأ كلمةَ **الله** وَسِيَرَ القدّيسين، الَّذين تغلَّبُوا على أهوائهم واكتسبوا محبَّة **الله**، فَلْنَغْصُبْ أنفسَنا إذن، قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، على القيام بأعمالٍ صالحةٍ، وإظهار محبَّتنا لِقريبنا، عبرَ أفعالِنا. عندما نقوم بهذا كَمَا يَنْبَغي، سَنبدأ في التّأمّل **بالله**، وَسَتَجِدُ أنفُسُنا التَّعزِيَةَ، وَسَنَبْلُغُ محبّةَ **الله** الحقيقِيَّة... حياتُنا، هي معركةٌ روحيَّةٌ، ونحن محاربون، «نتصارعُ مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ.» (أف٦:١٢). نحن بحاجةٍ إلى سلاحٍ ضدَّها، وهذا السِّلاح هو **التَّواضع**، الّذي يُمَكِّنُنا من مُقاومتِها بِسهولةٍ، وبِجُهوزِيَّةٍ تامَّة. هذا ما يجب أنْ نُعنَى به، في جهادِنا وأعمالِنا؛ فالمحبّةُ نفسُها، لا تنفصلُ عنِ التَّواضع.

عيد جامع لرئيسَي الملائكة ميخائيل وجبرائيل، ولجميع الطغمات العادمي الأجساد

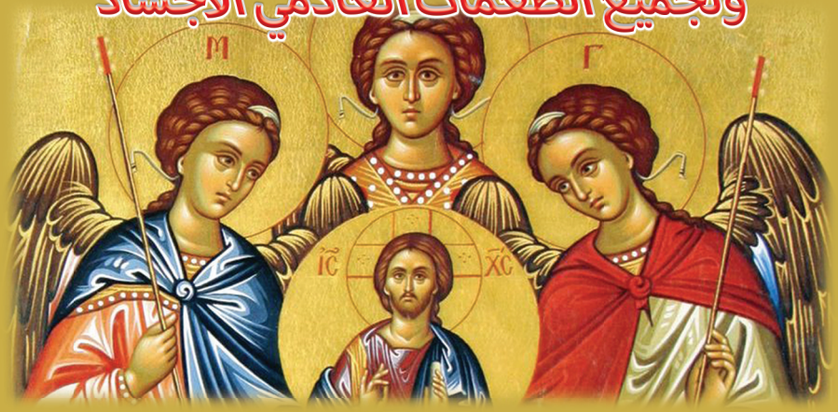

أيقونة الملائكة القديسين من دير دوخيارِيُّو العامر للروم الأرثوذكس، جبل آثوس - اليونان

للقديس يوحنا الدمشقي

† **خلق الملائكة وطبيعتهم** : اللهُ نفسه صانع الملائكة وبارئهم ومخرجهم من العدمِ إلى الوجودِ، وقد خلقهم على صورته الخاصة، طبيعة لاجسميَّة، على مثال ريحٍ ما ونار لاماديَّة، كما قال داود الإلهي «الصانع ملائكته أرواحًا وخدَّامَهُ نارًا تلتهب» (مزمور١٠٣: ٤)، وقد صَمَّم اللهُ فيهم الخفَّة والتَوَقُّد والحرارة وسرعة النفوذ والحِّدة في تلبية أوامره وخدمته، والتسامي بذواتهم ونفورهم من كُلِّ فِكْرٍ ماديٍّ.

† **الملاك لا جسم له:** إنَّ الملاكَ جوهر عقلاني، دائم الحركة، مُطلق الحرِّيَّة، لا جسم له يخدم الله ويتمتَّع في طبيعته بنعمة الخلود. أمَّا نوع جوهره وتحديده فلا يعرفهما إلَّا **الخالق** وحده. ويقال فيه بأنَّهُ **لاجسمي ولا مادي**، ذلك بالنسبة إلينا، لأنَّ كُلَّ شيءٍ بالمقابلة مع الله (الذي هو وحده ليس من يضاهيه) يبدو كثيفًا وماديًّا. وبالحقيقة إنَّ اللَّاهوت وَحْدَهُ مُنَزَّهٌ عن المادةِ والجسم.

† **يتمتَّع الملاك بحريَّة الرأي:** إنَّ **طبيعة الملاك** ناطقةٌ وعاقلةٌ وحُرَّةٌ، متقلِّبة الرأي أي متحولة الإرادة فإنَّ كُلَّ مخلوق متحول (وغير المخلوق وحده لا يتحول). وكُلَّ ناطقٍ حُرٌّ. وبما أنَّ طبيعة الملاك ناطقة وعاقلة فهي حرَّة، وبما أنَّها مخلوقة فهي متحوِّلة، لها المقدرة على البقاء والتقدم في الصلاح وعلى التحول إلى الشَّر.

† **الملاك غير قابل للتوبة:** إنَّهُ غير قابل للتوبة ، لأنَّ لا جسد له، أمَّا الإنسان فلسبب ضعف جسده يحظَى بالتوبة.

† **الملاك خالد ليس بالطبيعة بل بالنعمة:** وذلك لأنَّ كُلَّ من ابتدأ فبموجب طبيعته ينتهي أيضًا، أمَّا الله وحده وقد كان دائمًا فهو فوق الديمومة، لأنَّ خالق الأزمان ليس تحت الزمن بل فوق الزمن.

† **الملائكة نيِّرات ثانية:** إنَّها النَّيرات العقليَّة الثانية، تستمدُّ إنارتها من النُّور الأول الذي لا بدء له، وهي ليست بحاجة إلى لسان وسمع، لكنها تتبادل الأفكار والآراء بدون نُطق خارجي، وعليه فانَّ الملائكة قد خُلقوا جميعًا **بالكلمة** وتكلموا **بالرُّوح القُدُس** فحصلوا على الإنارة والنعمة طبقًا لكرامتهم ورتبتهم.

† **الملائكة محدودون:** فالملائكة عندما يكونون في السماء لا يكونون على الأرض، وإذا أرسلهم الله إلى الأرض لا يبقون في السماء. لكن **الأسوار والأبواب والأقفال والأختام** لا تحول دون وجودهم، لأنَّهم لا يُحْصَرُون. وأقول لا يُحْصَرُون لأنَّهم لا يَظهرون كما هم للمستحقِّين الذين يريد الله أنْ يظهروا لهم، بل يتخذون صورةً يستطيع معها الناظرون إليهم أنْ يروهم. أمَّا ذاك غير المحدود طبعًا وحقيقةً فهو الأحد الذي لا يُخلق، لانَّ كُلَّ خليقة إنما يحدِّدها الله الخالق نفسه.

إنَّهم ينالون التقديس من **الرُّوح القُدُس** من خارج جوهرهم، ويتنبئون بمؤازرة النعمة الإلهيَّة، ولا يتزوجون لأنهم لا يموتون.

† **مكان الملائكة:** ولأنَّهم عقول، فهم في أمكنة عقلانيَّة أيضًا، غير محصورين حصرًا جسمانيًّا. ومن اقتضاء طبيعتهم ألَّا يكون لهم شكلٌ جسمانيّ وألَّا يمتدُّوا في الأَبْعَاد الثلاثة، بل أن يحضروا حضورًا عقلانيًّا، ويعملوا حيثُ يُؤْمَرون دون أنْ يستطيعوا في آنٍ واحدٍ أن يكونوا ويعملوا هنا وهنالك.

† **لا يتَّضح أنهم متساوون في الجوهر:** ولسنا نعلم هل هم متساوون في الجوهر أم هم مختلفون بعضهم عن بعضٍ. إنَّ الله وحده الذي صنعهم يعلم هذا، لأنَّه يعرف كُلَّ شيء. وهم يختلف بعضهم عن بعضٍ بالإنارة وبالمقام، لحصولهم على المقام نظرًا للإنارةِ، أو على الإنارةِ نظرًا للمقام. وهم يُنيرون بعضُهم بعضًا لسموِّ رتبتهم أو طبيعتهم، لأنَّه واضحٌ أنَّ المتفوِّقين منهم يُشركون مَن هم دونهم بالضياءِ والمعرفة.

† **يتولَّى الملائكة الشؤون البشريَّة:** هم أقوياءُ ومستعدُّون لتلبية مشيئة الله. ولسرعة طبيعتهم يوجدون فورًا حيثما تدعوهم إشارةٌ منه تعالى. وهم يُحافظون على قطاعات الأرضِ، ويعتنون بالشعوب، والمواضِع (الأماكن) على حسب ما رتَّبه لهم الخالق، ويسوسون شؤوننا ويُغيثوننا. وهم يُقيمون بكلِّيَتِهم في حضرة الله لأجلنا تلبيةً لمشيئة الله وأمره.

† **يصعب تحرّكهم نحو الشَّرِّ:** إنَّه لصعبٌ تحرّكهم نحو الشرّ، وليسوا بغير متحرّكين إليه إطلاقًا. وهم لا يتحرّكون إليه الآن، لا من طبيعتهم،

بل بالنعمة وبثباتهم في الخيرِ الوحيد.

† **طعام الملائكة:** هم يرون الله على قَدرِ استطاعتهم. وبهذا يقوم طعامهم. إنَّهم يتفوَّقون علينا بصفتهم خالين من الجسد ومن كُلِّ انفعال جسمانيّ. ولكنهم ليسوا بدون انفعال البتَّة، لأنَّ الإله وحده لا ينفعل.

† **ظهورات الملائكة:** وإنَّهم يغيِّرون شكلهم تلبيةً لمَا يَأْمُرُهم به الله سيِّدُهم، وعلى هذا النحو يتراءَون للبَشَر، ويكشفون لهم الأسرار الإلهيَّة. هم يعيشون في السماء وعملهم الواحد تسبيح الله وخدمة مشيئته الإلهيَّة.

† **رُتَب الملائكة:** على نحو ما جاء في أقوال **ديونيسيوس الأريوباچي** المتَفَوِّق في القداسة والطهارة وعلم اللاهوت، إنَّ علم اللاهوت – **أو بالحريِّ الكتاب المقدَّس** – يذكر تسعة جواهر سماويَّة. ويحصرها صاحبُ الكهنوت الإلهيّ هذا في ثلاثِ ثُلاثِيَّاتٍ من الرُتَبِ، ويقول: إنَّ الثلاثيّ الأول موجودٌ دومًا حول الله مستسلمًا للاتحادِ به تعالى عن قرب وبدون وسيط، وهم جماعة **السيرافيم المسدَّسي الأجنحة والكيروبيم الكثيري الأعين والعروش الفائِقي القداسة، والثلاثيّ الثاني هم جماعة الأرباب والقُوَّات والسُلطات، والثلاثيّ الثالث هم الرئاسات ورؤساء الملائكة والملائكة.**

† **متى خَلَقَ الله الملائكة:** إذًا يقول بعضُهم إنَّ الملائكة وُجِدُوا قبل الخليقة كلِّها. على نحو ما قال **القديس غريغوريوس اللاهوتيّ**: «لقد فكَّر الله بالقُوَّات الملائكيَّة والسماويَّة، وكان تفكيره عملًا».

ويرى بعض الآباء، مثل **باسيليوس الكبير وغريغوريوس النيصي**، أنَّ الله يتصور أولًا فكرة الخلق بالحُبِّ، ثم يخلق أعماله بصلاحٍ كامل.

ويقول آخرون: إنَّه تعالى قد خلَقَ الملائكة بعد أن كانت السماء الأولى. ويتفق الجميع على أنَّ ذلك كان قبل جَبْلِ الإنسان. أمَّا أنا فَأَقِفُ إلى جانب **اللاهوتيّ**، لأنَّه كان يليقُ أن يُخلَق الجوهر العقلاني أوَّلًا، ثمَّ الحسيُّ، وأخيرًا الإنسان نفسه، من كِلا الجوهرين.

† **لم يَكُن الملائكة قَطُّ خالِقين:** أمَّا أولئك الذين يقولون بأنَّ الملائكة صنعوا جوهرًا ما، فإنَّهم هم **فَمُ الشيطان أبيهم**، لأنَّ الملائكة خلائِق وليسوا خالِقين. وما صانِعُ الكُلِّ والمعتني بِهِ وحافظُهُ إلَّا الله وحدَه الذي لم يَخلِقه أحدٌ، وهو المسجود له والمُمَجَّد في **الآب والابن والرُّوح القُدُس.**

وبحسب **القديس باسيليوس الكبير** فإنَّ طبيعة الكائنات العقليَّة تفوق العقل البشريّ، لأنَّها تتوافق مع الحالة التي خُلِقَ عليها، أي خالدة وأبديَّة، وهو أمْر لا يمكن للعقل البشريّ أنْ يفهمه.

الملائكة، لأنَّهم كائنات روحِيَّة، لا ينقسمون إلى جنسين (ذكر وأُنثى)، لا يحتاجون إلى تعليم أو شفاء، لا يموتون. إنَّهم لا يعانون من التعاسة أو الشَكِّ أو الخطأ أو الألم أو الخسارة. كما أنهم لا يحتاجون إلى الطعام أو الرَّاحة. كُلُّ ملاكٍ له شخصيَّته الفرديَّة وإرادته الخاصَّة. إنَّهم يتميَّزون بخلود النعمة، مما يجعلهم مشاركين – أصحاب النعيم السماوي. لا يمكنهم الخضوع للانحلال الجسدي. الملائكة معتمدون على الله وغير محدودين بالزمان والمكان، فهم كائنات سريعة الحركة ويمكنهم التواجد في أي مكان يرغبون فيه.

ليس من الصحيح الحديث عن مسار روحي تطوري للملائكة يتوافق مع المسار الملحوظ في البشر. ويلاحظ ذلك لأنَّ الملائكة لم يتَّخذوا منذ البداية طبيعة طفوليَّة، ولم تتمُّ دعوتهم أساسًا إلى تدريب أنفسهم تدريجيًا حتى يصلوا إلى مستوى يقبلون فيه أعمال **الرُّوح القُدُس**. وفي هذا **طريق** الوصول إلى كمالهم . قداستهم جوهريَّة إلى حدٍّ ما، دائمًا بالطبع كهبة من **الرُّوح القُدُس** ودون اعتبارهم قديسين بالطبيعة. ولهذا السبب أيضًا توطدت فضيلتهم بطريقةٍ ما، ولم يعودوا إلى الرذيلة، فهي عطية **الرُّوح القُدُس**. إنَّه نتيجة أعمال الله غير المخلوقة، النُّور الإلهيّ غير المخلوق .

يذكر **القديس باسيليوس الكبير** في كتابه «**في الإيمان**» أنَّهُ أمام الطبيعة الإلهيَّة الكاملة التي لا مفرَّ منها والتي لا يمكن الاقتراب منها، لا يمكن لأيِّ شخصٍ آخر أنْ يقفَ، ولا حتى رؤساء الملائكة مع كل الطبيعة العقليَّة المجتمعة. إنَّ كمال وتفوُّق وتألُّق وإضاءَة طبيعة الملائكة لا يقف إلَّا بالمقارنة مع مخلوقات المشيئة الإلهيَّة الأخرى. وذلك لأنهم ليسوا قديسين بالطبيعة، بل مقدسين بعطيَّة **الرُّوح القُدُس**، ولا ينبع من جوهرهم تعبيرٌ عن طبيعتهم. علاوة على ذلك، لو حدث أنَّ الملائكة كانوا بالطبيعة مقدسين، لما حدث **سقوط لوسيفر وغيره من الطغمات الملائكية التي تحولت إلى شياطين.**

المجمع المسكوني السابع : وخلافًا لآراء **الآباء الشرقيِّين**، ففي الغرب اعتمدوا الرُوحانيَّة المطلقة واللاماديَّة الكاملة للملائكة. وبالطبع كانت هناك ردود أفعال على قبول هذه النظرية، لكن في زمن **توما الأكويني** تمَّ قبولها. أمَّا في الكنيسة الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة، ومع المجمع المسكوني السابع، تمَّ تقديم حَلٌّ نهائي بعد قبول الرأي القائل بأنَّ الملائكة ليسوا غير ماديِّين إلى ما لا نهاية. **هذه خاصيَّة تنتمي إلى الثالوث الأقدس.** ولكن لهم جسدًا أثيريًا، حارًّا ونارِيًّا. ■ (وإجمالًا، يبلغ عدد مرات ذُكر أسماء الملائكة: ٣٠٤ في العهد القديم، و ١٧٥ في العهد الجديد.)

«الفائقة القداسة تنظر، تسمع، تتفاهم معنا، تُلهِمُنا، وَبِفَضْلِهَا نتمتَّع بالنِّعَمِ الإلهيَّة».

يَعجَزُ اللسان البشريّ عن التكلُّم عن **والدة الإله الفائقة القداسة**، وَوَصفِ سُمُوِ فضائلها، والتعبير عن مدى محبَّتها لنا نحن البَشر وعنايتها بِنَا، على حَدِّ قولِ يوحنَّا ناظم التسابيح في عيد العنصرة المقدَّسَة: «كلُّ فَمٍ فصيحٍ ومقتدرٍ لا يستطيع أنْ يُبالغَ في مديحَكِ بحسب الواجب. وكُلُّ عقلٍ ينذهلُ من فهمِ حالِ ميلادِكِ...».

تَكمُن **عَظمةُ سيِّدتنا مريم العذراء** في أنَّها، وبالرغمِ من كونها بَشَرًا مثلنا، قد بلغت هذا السموَّ الرُّوحيَّ غير الموصوف. ومن ميِّزات **والدة الإله الشخصيَّة**، تَنَزُّهُهَا عن الخطيئة مقارنَةً بسائرِ البشر، وجهادها الشخصيّ.

يُعلّمنا **القديس غريغوريوس پالاماس** أسقف تسالونيكي، أنَّ **والدة الإله**، منذُ أن كانت طفلةً صغيرةً في قدسِ الأقداس، كانت تمارس الصلاة العقليَّة والقلبيَّة [1]. هذه الحقيقة يعبِّرُ عنها **القدِّيس نيقوديموس الآثوسي** لاحقًا بقولِهِ: «**إنَّ الشخص الوحيد في تاريخ البشريَّة، الذي تمكَّنَ من تَخَطِّي السموّ الرُّوحيّ حتَّى للعالم الملائكيّ هو والدة الإله** [2]».

يا لَهُ من سِرٍّ مُستغرَبٍ وفائقِ الوَصف! يا **لَعظَمة والدة الإله**، التي بقبولها المشيئة الإلهيَّة وخدمتها لِسِرِّ التدبير الإلهيّ، مَنَحَت **الرَّبَّ** – الأقنوم الثاني للثالوث القُدُّوس – إمكانيّة اتِّخاذ طبيعتنا البشريَّة. فَوَحَّدت في أحشائها الطبيعَتَين الإلهيَّة والبشَريَّة.

يا لعظَمة هذا السرّ يا **والدة الإله**! فإنَّ حَشاكَ قد صَارَ بَلَدًا يتَّسعُ ضابط الكلِّ الذي لا يَسعُهُ مكانٌ، وَدَمَكِ قَدَّمتِهِ للجنينِ الإلهيّ، فأعطاكِ بدورِهِ نعمتَهُ وبركَتَهُ. فصرتِ أُمًّا لكُلِّ الخليقة، ومَسكنًا للخالِق، وأعظم من قُدس الأقداس، وأعلى سُمُوًّا من الطُغمات السماويَّة كلِّها. وبواسطتكِ فُتِحَ الفردوس، وصارَ تألُّه الإنسان مُمْكِنًا بعد أنْ كان مُستحيلًا بعد **سقوط الجدَّين الأوَّلَين**.

وَمن عساهُ قادرٌ، على وصفِ فضائلك الغزيرة يا **أُمّنا الفائقة القداسة ؟!** فبما **أنَّكِ والدة الإله وينبوع الحياة، فقد صِرتِ أُمًّا لكُلِّ فضيلَةٍ ونبعَ كُلِّ النِعَم، أنتِ يا والدة الإله، أُمُّ التواضع، أُمُّ المحبَّة، أُمُّ الإيمان، أُمُّ الرَّجاء والفرح، أُمُّ الطاعة الكاملة لمشيئة الله، أُمُّ الصلاة، أُمُّ الصبر، أُمُّ الخير والصلاح، أُمُّ الصمت، أُمُّ النور، وأُمُّ التمييز.** فإليكِ إذًا **يا والدة الإله** نلتجئُ طالبين إليكِ أنْ تُغدِقي علينا قطرةً من نِعَمِكِ الغزيرة، حتَّى ننهَضَ من سَقَطاتنا ونتعلَّم أن نحفَظَ وصايا **الرَّبِّ** في كُلِّ حين. نتضرَّع إليكِ أنْ تتوَسَّلي إلى المُنعِم عليكِ بأنْ يَهَبَنَا قطرَةً من نِعَمِكِ وفضائِلَكِ التي لا تُحصَى.

لقد اختبرَتْ **والدة الإله الفائقة القداسة** الكثير من الأحزان والآلام خلال حياتها الأرضِيَّة. لهذا فهي تسكُب نِعَمِهَا، وتُشَدِّد نفوس المتألِّمين، وَتُبَلْسِم جراح المحزونين، وتُعَزِّي البائسين، وتَنصُرُ المظلومين، وتَشفي المرضى، وتُنهض الساقطين بفضل دالَّتها التي لا تُخذَلُ لدى السيِّد ومحبَّتها التي لا تُقاس للجنس البشريّ. كم عانَتْ هي نفسها في البداية عندما تركها والدُهَا صغيرَةً في الثالثة من عُمرِهَا في هيكل الأقداس؛ وكَم تألَّمتْ لاحِقًا عندما شَكَّ الجميع في عُذريَّتِهَا وأوَّلهم خطيبها يوسُف بسبب حبَلِها الفائق الطبيعة؟ وكم عانت من الشقاء عندما **هربَتْ مع يوسف وابنها** إلى **مصرَ**، خوفًا من **جنود هيرودُوس** الطالبين قتل الصبي **يسوع**؛ وكم كابَدَتْ من عناء السفر والغربة؛ وكم كان ألَمها عظيمًا عندما عايَنَت ابنها الحبيب مرذولًا ومُهانًا ظُلمًا أمامَ عينيها. أمَّا ألَمُها الأعظم الذي اختبرته في قلبها، سَبَقَ **سمعان الشيخ** فتنبَّأَ لها بهِ بقولِهِ: «وَأَنْتِ أَيْضًا يَجُوزُ فِي نَفْسِكِ سَيْفٌ...» (لو ٢:٣٥). فقالت حين كانت واقفةً قُرب صليب ابنها، ولا سِيَّما عندما أسلَمَ الرُّوح: «**إنِّي أراكَ ميتًا يا مُحِبَّ البشر، ويا مُحيِي الموتَى، ويا ضابِطَ الكُلّ، فتتجَرَّح بشدَّةٍ أحشائي. وقد أردتُ أنْ أموتَ معَكَ لأنِّي لا أقدَر أنْ أراكَ ميتًا بلا نَسَمَةٍ**». كان ألَمَ **السيِّدة العذراء** وحُزنها لا يوصَفان، وكذلك كانت آلام نفسها لا تُقارَن بآلام **آدم** عندما طُرِدَ من الفردوس؛ وذلك لأنَّ محبَّتها كانت

لا تُقَارَن بمحبَّة آدم في الفردوس. وإذا تمكَّنت من البَقاء حيَّةً عندها، فإنَّ الفَضل يعود إلى القوَّة الإلهيَّة التي كانت تسندها حتَّى النهاية. ونظرًا لكوننا عاجزين عن بلوغ **محبَّة والدة الإله**، لهذا فنحنُ نَعجز عن فهم عُمقِ حُزنها. هي **أحبَّت ابنها وإلهها على نحوٍ لا يوصَف، ولكنَّها أَحبَّت أيضًا جنس البَشر محبَّةً كبيرة**. ماذا شعرت يا تُرى عندما عايَنَتْ هؤلاء الذين أحبَّتهم وتاقَتْ لأجلِ خلاصهم، قد **عَلَّقوا** ابنها الحبيب على الصليب ؟!

لا يُمكن لأَحدٍ أنْ يكونَ قدِّيسًا إن لم يَحبّ أوَّلًا **والدة الإله** حُبًّا عميقًا. ولا يوجد قدِّيسٌ لم يحبَّ **والدة الإله** حُبًّا عميقًا [٣]. **فالقديس يوحنَّا الذهبيّ الفم** كتَبَ في مديحها أروع العِظَات، بعد أنْ منحته موهبةً ليكونَ أعظم المفسِّرين للكتاب المقدَّس وأفضلهم. **والقديس يوحنا الدمشقي** نَظَمَ لها أروع الترانيم بعد أنْ شَفَتْ لهُ يَدَهُ اليُمنى المقطوعة ظُلمًا، لكي يستطيع أنْ يُدِي قولًا فائضًا في الأُم الملكة. **والقديس رومانوس المرنِّم** رتَّلَ لها بصوتٍ خشوعيّ رائع، ونَظَمَ لها القناديل وأروع المدائح، بعد أن منحته نعمة الصوت الشجيّ ... والأمثلة لا تُحصَى في سِيَر القديسين عن محبَّتهم العميقة **لوالدة الإله**.

يقول **القدِّيس سمعان اللاهوتي الحديث** عن دور **والدة الإله** السَّامي في إيصال الجنس البَشري إلى هدف الخَلق، أي **التألُّه** : « ولمَّا كان كلمة الله قد تَجَسَّدَ مرَّةً واحدَةً من العذراءِ وَوُلِدَ بالجَسَد منها بِشَكلٍ لا يوصَف، فإنَّه لا يُمكن أنْ يتجَسَّد أو يولَد بالجسد من كُلِّ واحدٍ مِنَّا بطريقَةٍ مماثلةٍ. فماذا يفعل يا تُرى؟ إنَّهُ يُقَدِّم لنا، من هذا الجسد الطاهر الذي اتَّخَذَهُ من أحشاء والدة الإله مريم الفائقة الطهارة، مأكَلًا عندما نتناول منه، يسكن الله المتجسِّد وربُّنا يسوع المسيح فينا ... بحسب قوله السيِّديّ لنا: «مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ.» (**يو ٦:٥٦**). فالرَّبُّ استعارَ من **والدة الإله البريئة من كُلِّ عيبٍ جسدَه الطاهر، وَقَدَّمَ لها بالمُقابل التألُّه**. إلاَّ أنَّه لا يَتَّخِذ جسَدًا من القديسين. بل يُقَدِّم لهم جَسَدَهُ المُتَألِّه ... ذلك أنَّ جسدَ الرَّبِّ هو **جسد والدة الإله، وعندما نتناول نحنُ البشر من هذا الجسد المتألِّه للرَّبِّ، نؤمن ونعترف أنَّنا نتناول الحياة الأبديَّة، عندما لا نتناول بالتأكيد بعدَمِ استحقاقٍ ودينونةً لأنفسنا**.

أمَّا عجائب **والدة الإله**، فهي لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، إذْ إنَّها الوسيطة التي لا تُخذَل طلبتها في الشدائد، بفَضلِ دالَّتها الكبيرة عند ابنها ربِّنا ومخلِّصنا **يسوع المسيح**. **فالسيِّدة العذراء** تظهر أحيانًا للبَشرِ في **رؤيا** في أثناء النوم أو في وقت اليقظة. ويكون حضورها جليًّا في أحيانٍ أُخرى بفضلِ صوتها العذب أو عبر رائحة حضورها الفوَّاح. وبهذه الطرائق المتنوِّعة، هي تشفي الأمراض، وتُشَجِّع المُحَارَبين، وتَسُدُّ الحاجات، وتُنقِذ من الأخطار، وتحلُّ الأزمات والمُشكلات. كما أنَّها كثيرًا ما تقودُ إلى اكتشاف أماكن الأيقونات المقدَّسة. أحيانًا تُبَشِّر بالإحسانات، وأحيانًا أُخرى تُحَذِّر من اقترابِ مجيءِ الآلام والتجارب. وبطريقَةٍ مماثلة، توبِّخ الخطيئة وتُكافِئ الفضيلة. وفي النهاية، هي تقودُ البَشَر إلى التوبة، وتُرشِدُ غير المؤمنين إلى الإيمان الحقيقيّ، وتُعاقِب المُجَدِّفين تأديبيًّا. وهنا يجدر التنويه إلى أنَّه، لكي يكون حضور **سيِّدتنا الفائقة القَدَاسة** على المستوى الشخصيّ كما على مستوى الجماعة واضحًا ومقبولًا، فإنَّه يتطلَّب إيمانًا حيًّا لدى المُسارعين إليها.

يروي لنا **القدِّيس سلوان الآثوسيّ** قائلًا: « لا أَكذِب عليكم، لم أَرَ والدة الإله، ولكنَّ الرُّوح القُدُس أعطاني أنْ أعرفها وأعرف محبَّتها لنا. فمن دون تحنُّنها لكانت قد هلكت النفسُ منذُ زمنٍ طويل. لقد تنازَلَت وَقَبِلَتْ أن تزورني لكي لا أُخطىء. قالت لي: «لا أُحبُّ أنْ أرى أعمالك». **كانت أقوالها مريحة، هادئة، مليئةً وداعةً. أَثَّرَت فِيَّ وَتَرَكت** بصمتها في نفسي. مضَى على ذلك **أربعون سنة**. لكنَّ نفسي تعجز عن نسيان صوتها العَذب، ولا أعرف كيفَ أَشكُرُ والدة الإله الصَّالحة».

وقبلَ الختام، أرغَبُ في أنْ أَسرُدَ عليكم بعض الأحداث الحقيقيَّة التي جَرَتْ في أحد أديار الجبل المقدَّس، والتي تُبرز لنا **محبَّة السيِّدة العذراء** للرهبان وإرشادها لهم.

كان **الراهب سمعان** متنسِّكًا وحده في أحدِ الكهوف البعيدة عن الأنظار في **الجبل المقدَّس** منذُ سنواتٍ عديدة، وكانت نفسُهُ تتطاير في عِشق الإلهيَّات، وتَتَذَوَّق جمال الملكوت منذُ هذه الحياة، وسط غربة الجبل وصمته وهدوئه. إلَّا أنَّ **الرَّبَّ** الذي سُرَّ بعَبدِهِ، كان يُهيِّئه كإناءٍ مُصطَفى لمَهَمَّةٍ كبيرة. ففي إحدى الليالي التي سبَقَتْ عيد الميلاد، إذا به يرى في عتمة الليل نجمًا لامعًا بهيًّا ينحدر من السماء ليستقرَّ على قمَّةٍ صخريَّة مرتفعةٍ أمام الكهف. وفي الوقتِ نفسِهِ، سَمِعَ صوتًا يخاطبه بعذوبة: «يا سمعان، عليكَ أن تبني ديرًا على هذه القمَّة الصخريَّة التي استقرَّ عليها النجم، وأن تدعو الدير باسمِ **بيت لحم الجديدة**.» لم يُعطِ **الناسك سمعان** أهميَّة للرؤية، خوفًا من الوقوعِ في الوهم والضلال. إلَّا أنَّ الليلة المقبلة حَمَلَتْ له الخبرة عينها، وكذلك الليلة الثالثة. الأمر الذي دفعَ **الناسك سمعان** إلى التوسُّل إلى **سيِّدتنا العذراء** أنْ تُظهِر له الحقيقة، وتحميهِ من **خداع الشِّرير**، وتُرشده إلى الحقيقة. وبالفعل، عندما حَلَّت ليلة الميلاد، وبينما كان **الناسك سمعان** يُصَلِّي ويتضَرَّع إلى الطفل الإلهيّ المولود في المغارة، إذا بهِ يجد نفسَهُ فجأةً في سهلٍ فيه رعاة غنمٍ مع قطعانهم، ولمَّا كان مندهشًا يتطلَّع باستغرابٍ حوله، عسَى أنْ يكشفَ معنى هذا السرِّ المستغرَب، إذا **بملاك الرَّبِّ** يظهر أمام جميع الحاضرين هاتفًا: «لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ:أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. وَهذِهِ لَكُمُ الْعَلاَمَةُ: تَجِدُونَ طِفْلًا مُقَمَّطًا مُضْجَعًا فِي مِذْوَدٍ».» (لو٢:١٠-١٢). «**وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ»**». (لو٢:١٣-١٤). هكذا عاشَ **الناسك سمعان** خبرة الميلاد التي حصلت قبل نحو **١٢٠٠ سنة** من هذا التاريخ، وعندما عادَ الى ذاته، وَجَدَ نفسه في الكهف حيثُ كان، وعندها ظهرت له ملكة السماوات مُشيرةً إلى القمَّة الصخريَّة وقائلةً له: «يا بُنَيَّ لا تَخَفْ، واعمَلْ على بناء الدير، وأطلق عليه اسم **بيت لحم الجديدة**». **وهكذا كان**.

تروي لنا سيرة القدِّيس سمعان، أنَّه لاحقًا عندما قرَّرَ بناء الدير، وصَل إليه بعض الأخوة الأغنياء من تسالونيكي، يبتغون حياة النُسك والرهبنة، ومن خلالهم بعد أن قَبِلهم كرهبانٍ عنده، استدعى عددًا من العمال الذين رفضُوا الشروع في بناء الدير على قمَّة الصخرة، نظرًا

لصعوبة المكان وخطورته. جلسَ القديس معهم محاولًا إقناعهم ببناء الدير والاتِّكال على عناية **الفائقة القداسة**، ولكنَّهم رفَضوا طلبه بشكلٍ قاطعٍ بسبب عدم إيمانهم، وبينما كان الراهب المبتدىء متوجِّهًا نحو الموضِع الذي كانوا جالسين فيه، حاملًا طبقًا عليه كؤوسٌ ملآنة بالنبيذ، إذ بِهِ يسقط من طرف الطريق الجبليّ الضيِّق في الوادي السحيق. فنهض العمال مذعورين **ومُجَدِّفين** على القديس سمعان، وساخرين من إيمانه **بالسيِّدة العذراء** التي سمحت بهلاك الراهب حسبما **ظَنُّوا**. إلَّا أنَّ **الفائقة القداسة** استجابت لصلوات القديس سمعان، فأذا بالراهب يظهر أمامهم صاعدًا على المرتفع الجبليّ المقابل لموضعهم من دون أن يصيبه أيُّ ضرر، ومن دون أن تنكسر الكؤوس التي كان يحملها، لا بل إنَّ قطرة واحدةً منها لم تنسكب بفضلِ حماية **الفائقة القداسة** التي تلقَّت الراهب العاثر على ذراعيها مُنقذة حياته.

يروي لنا **آباء الدير العريق** الواقع على صخرةٍ مرتفعةٍ نحو ٣٠٠ متر عن سطح البحر، أنَّه في أواخر القرن التاسع عشر، في أحدِ أيَّام شهر تموز الشديدة الحرارة، كان أحد الرهبان صاعدًا من المرفأ إلى الدير، متنهدًّا ذارفًا العرق. كانت مهمَّته في تلك السنة نقل الأغراض الديريَّة المختلفة يوميًّا من المرفأ إلى الدير. وكان قد قطع هذا الطريق مرَّاتٍ عدَّة خلال اليوم، وقد استنفد قِواه كلّها. وعندما لم يستطع متابعة الصعود، قرَّرَ التوقُّف عند منتصف الطريق لأخذِ قِسْطٍ من الراحة. بدأ بالتأفُّف في داخله من صعوبة هذه الخدمة وإنهاكها له، فإذا به يسمعُ فجأةً صوت **السيّدة العذراء** العذبِ في قلبه قائلًا: له: «لا تتذَمَّر يا بُنَيَّ الرَّاهب، واعلم أنَّ أيَّةَ قطرةِ دموعٍ تُذرَف لأجلي في هذا البستان المبارك لها قيمتها وأجرها الخاصّ الذي لا يضيع». وللحال امتلأ قلبه بفرَحٍ روحيّ لا يُعبَّر عنه، وزال عن كاهله كُلّ تعب النهار المنصرم. ولهذا، ومن أجلِ إكرام **سيِّدتنا والدة الإله**، اهتمَّ بإقامة مزارٍ لها في مكان الحدَث.

وفي أواخر سنة ١٩٨٩، حين كان الرهبان يحتفلون روحيًّا **بعيد دخول السيِّدة إلى الهيكل**، اجترحت **السيِّدة** أُعجوبة أُخرى. عاشَ الرهبان في تلك السهرانيَّة حالاتٍ روحيَّة سامية، وشعروا بحضور **الفائقة القداسة** النقيّ. وفي اليوم التالي، بينما كان المسؤول عن مستودع الزيت في الدير يتفقَّد خوابي الزيِّت الفارغة، فوجِئَ برؤيتها ملآنة بزيتٍ مُقَدَّس لا مثيلَ له بالنقاوته. وكما ذكر الأب الشيخ البار إميليانوس رئيس دير سيمونسبيترا، فإنَّ هذه العجيبة جاءت تعزيَةً للرهبان، لتكون عندهم أيقونة عجائبيَّة **لوالدة الإله** أُسوَةً بسائر **أديار الجبل المقدَّس**. وبالفعل، فقد صنع هذا **الزيت** العديد من عجائب الأشفية لأشخاصٍ كانوا يُعانون **من أمراض السرطان، ومن الصُمّ والبُكم، وأمراض العيون والتهاب المفاصل وغيرها**، لدى كُلِّ مَن استخدمه بإيمانٍ وورع. وَسِجِلُّ الدير حافِلٌ بشهاداتٍ حيَّةٍ عن هذه العجائب. أُسوقُ على مسامعكم بعضًا منها:

بعد حدوث الأعجوبة، أرسَلَ أحد الأخوة قليلًا من الزيت إلى عَرَّابته (إشبينته) المُقيمة في الولايات المتحدة التي كانت مُصابةً بداءِ السرطان في الجِلدِ، ، وقد قالَ لها الأطبَّاء الاختصاصيّون إنَّ أيَّامها قليلةٌ على الأرض. فدهنت ذاتها بالزَّيتِ ثلاث مرَّات، وتوسَّلَتْ إلى **الفائقة القَداسة** بدموعٍ، فَشُفِيَت نهائيًّا، وعاشت بعد هذا التاريخ سبع عشرة سنةٍ أُخرى.

لاحِقًا، كان أحد المسيحيِّين اليونانيِّين المُقيمين في المانيا يُصَلِّي في بيته بدموعٍ إلى **الفائقة القَداسة** كي تَشفي ابنه الصغير **الأصمّ والأبكم**. في إحدى المرَّات، بينما كان يُصَلِّي وهو ينظر إلى ابنه الصغير يلعب أمامه، إذا بِهِ يشعر بلمسةٍ حنونةٍ تُداعب رأسه، وَسَمِعَ صوتًا يقول له: «إنْ كُنتَ ترغبُ في شفاءِ ابنك، تعالَ به إلى حديقتي! تفاجأ **للوهلَةِ الأولى**، ولم يفهم الرسالة، وعادَ إلى صَلاته. فإذا به يشعر بالَّلمسة الحنونة نفسها تُداعِبُهُ على رأسه، ويسمع الصوت العذب نفسه مُكَرِّرًا على مَسمعه الكلامَ عينه. لم يفقه معناه، ولمَّا استشارَ كاهن رعيَّته، نصحَهُ هذا الأخير بزيارة حديقة السيِّدة العذراء أي الجبل المُقَدَّس مع ابنه للتَبَرُّك والصلاة. فسَارَعَ لإجراءِ الجوزات اللازمة، وبلغَ إلى بلدة أورانوبولي مساءً، وكانت متاجرها ومكاتبها مُغلقة في تلك الساعة، إذ لم يعرف شيئًا عن ترتيبات الدخول إلى الجبل المقدَّس. (**فيها الميناء الذي تُبحر منه السُفن إلى مرفأ وأديرة جبل آثوس، وأيضًا المكتب الذي يُزوِّد الزائر بتأشيرة دخول إلزامِيَّة.**)، وبينما كان يُفَكِّر في كيفيَّة الدخول إلى الجبل، إذا بأحدِ آباءِ ديرنا (دير سيمونسبيترا) يمُرُّ في البلدة حاملًا معه الكثيرَ من المشتريات الديريَّة، وكان مُزمِعًا الدخول إلى الجبل بواسطة الباخرة السريعة الصغيرة – التاكسي. فهرَعَ إليه السيِّد لمَّا رآه مُتَرَجِّلًا منَ السيارة، طالبًا مُساعَدته، فتَحَنَّنَ عليه الأبُ، وَسَمَحَ له بالمجيء معه إلى الدير. هناك روى للآباء قِصَّته ومُعاناته، فقرَّرَ الآباءُ دهنَ الصبيّ بزيت السيِّدة العذراء العجائبيّ. وبينما كانوا يُرتِّلون صلاة الابتهال، إذا بالصبيّ يتوجَّه نحو أيقونة الفائقة القداسة مُرَدِّدًا كلمة **ماما**. فانحلَّتْ للحالِ عُقدةُ لسانه وشُفِيَ من صَمَّه وبُكمِهِ بفضل تدخُّل **والدة الإله**. وتخَرَّجَ لاحقًا من كُلِّية المحاماة التي تتطلَّب موهبة الإصغاء الحَسَن والكلام المُقنع.

بعد مرور نحو السنة على تلك الأعجوبة، اندلعت النيران في غابات الجبل المقدَّس مُدَمِّرةً الكثير منها، وبلغت ألسنة النيران ديرنا المقدَّس، وأحاطت به، وكادت تُدَمِّره بالكليَّة. فسَارَعَ الأب الرئيس الشيخ إمليانوس إلى كنيسة القدِّيسة مريم المجدليَّة الصغيرة، ورَكَعَ أمام أيقونة الفائقة القداسة التي كان يُكَرِّمها بشَكلٍ خاصّ، مُتوَسِّلًا إليها أنْ تحمي الدير، وأتعاب الرهبان الكثيرة التي بذلوها من إعادة ترميمه وتأهيله طوال السنوات الماضية. وبالفعل، كانت نجاة الدير من الاحتراق بالكليَّة بفضلِ **أُعجوبة سيِّدتنا العذراء** التي تحنَّنت واستجابتْ لصلوات الأب القديس، بفضلِ دالَّته الكبيرة عندها.

يقول لنا أبونا الشيخ البار إمليانوس: « عبر تاريخ الجبل المقدَّس، كانت ظُهورات السيِّدة العذراء للرُهبان كثيرةً لا تُحصَى، مُفعَمةً بالحياةِ والتحنُّن على جنس البَشَر. فكانت تُرشِد التائهين منهم نحو الطريق الصحيح، وتَتَمَشَّى مع الآخرين. وفي أحيانٍ أُخرى، كانت تتدَخَّل لإنقاذِ آخرين عندما كانت تتعَرَّض حياتهم للخطر. وكانت تُكافِئ البعض على أتعابهم، وتُوَبِّخ البعض الآخر، وتُهَدِّد عندما يكونون مُهمِلين في الخدمة. كان بعض الرُهبان يستأهل أن يُعاينها

مُصَلِّيَةً أو باكية، أو مُوَزِّعةً الطعام على الموائد عندما كانت تستدعي الحاجة. كانت **الفائقة القَداسة** تصير، بتواضعها، عبدَةً وخادِمةً لنا لكي تُؤَمِّن أكثر حاجات البَشَر دُنيويَّة. وإذا كانت **الفائقة القَداسة** تُساعِد الرُهبان الذين يعيشون من دون اهتماتٍ دُنيويَّة، ولا يُعانون من المشكلات والقلق، وليس عندهم مُشكلات في حياتهم الرُّوحيَّة والاجتماعيَّة؛ أَفَلَا تُساعد بالأحرى الناس في العالم، الذين يعيشون الهَجرَ والألم والمرض والحاجات اليوميَّة ... بالتأكيدِ هي تُساعدهم، **فالفائقة القَداسة** تنظر، تسمع، تتفاهم معنا، تُلهِمُنا، وبِشَكلٍ خاصّ تتفاهم مع ابنها وإلهها. أمَّا نحنُ، فلا نُدرِك كم تقول لابنها عبر صمتها. تقول له: «أرغب في أنْ تنتبهَ إلى هذا، ولا تنسَ هذه. أُنظر كم يُعاني هذا. يا بنيَّ وإلهي، أرغبُ في أنْ تُحقِّق لي طلباتي». إنَّ صمت **الفائقة القَداسة** العظيم يَزيدُ من إيماننا وَيُقَوِّي صلواتنا. **فالفائقة القَداسة** متواضعةٌ في مجدها لأنَّها غلبت **الفساد والموت**، فهي بلاطٌ للنورِ الذي لا يُدنَى منه ... وتعمل على تفعيل صلاة الجبل المقدَّس غير المنقطعة ليلًا ونهارًا، وتُساهم في سِرِّ الفداء، وتكشف تجسُّدَ الكلمة في داخلنا، وتُدْخِلُنَا في أعماق أسرار السماء والأرض. وبفضل **الفائقة القَداسة** نتمتَّع، نحنُ الخطأة والضعفاء والمفعمين بالأهواءِ، بالنِّعم الإلهيَّة، لأنَّها هي عمودُ الصلاةِ الداعم لكُلِّ الكنيسة. وهي تُحَرِّر حتَّى المحكوم عليهم بالجحيم الأبديّ، وتُؤَلِّه الإنسان، وتجعلُ الخليقة بأسرها تسجدُ للهِ ...»

١) – «من خلالِ عودة العقل إلى القلب والصلاةِ الدائمة، سَمَت عن كُلِّ ما له هيئةٍ وشَكلٍ. فَبَنَت التالي دربًا جديدًا إلى السماء – الصمتَ العقليّ – وارتفعت من خلاله فوقَ المخلوقاتِ كلِّها، وعاينت مجد الله بطريقةٍ أكثر كمالًا من موسى النبي ، ورأت النعمة الإلهيَّة الَّتي لا يُمكن للحَواسِ إدراكها ...» (القديس نيقوديموس الآثوسي، حديقة النِعَم، ص ١٩٥).

2) - Theoklitos Dionysiatis, Saint Nicodemos the Hagiorite, 2nd Edition,pp. 250

3) - Theoklitos Dionysiatis, Saint Nicodemos the Hagiorite, 2nd Edition,pp. 248

4) - ΑΡΧΙΜΑ. ΑΙΜΙΛΙΑΝΟΥ ΣΙΜΩΝΟΠΕΤΡΙΤΟΥ, ΛΟΓΟΙ ΕΟΡΤΙΟΙ ΜΥΣΤΑΓΩΓΙΚΟΙ, Η ΠΑΝΑΓΙΑ "ΑΞΙΟΝ ΕΣΤΙΝ", ΕΚΔ. ΙΝΔΙΚΥΟΣ 2014, ΣΣ. 136 - 138

إنَّ النقاش الدَّائر في أيّامنا هذه حول **المِثليِّين** و**«زواجهم»** قد سلَّط الضَّوء في الدَّرجة الأولى، من بين أمور أخرى، على **هوى محبَّة الذَّات**. وهذا، بطبيعة الحال، لا ينطبق فقط على **المِثليِّين**، بل وعلى المُغايِرين جنسيًّا أيضًا، حينما يجعلون الحبَّ غير العقلانيّ والمُفرِط لأجسادهم، لُبَّ حياتهم، ويَقتصِرون على الغرائز فقط، متجاهلين الإنسان ككيان كامل. هذا ما يُسَمّى في **التقليد الآبائي للكنيسة**، **بمحبَّة الذَّات**.

إن كلمة «**محبَّة الذَّات**» ***(filavtia - φιλαυτία)*** في اللغة الحديثة تُفسَّر على أنَّها «**المحبّة المفرِطة للذَّات**»، و«**الهَوَس بالنَّفس**»، وهي نقيض محبّة الآخرين *(filallilia - φιλαλληλία)*. غير أنَّه في **التقليد الآبائي**، لا تُصنَّف **محبَّة الذَّات** على أنَّها محبَّة لأنفسنا، بل محبَّة مُفرِطة لأجسادنا، مقترِنةً بإشباع كُلِّ رغباته وملذَّاته.

يكتب **القديس مكسيموس المعترف** مثلًا: أنَّ **محبَّة الذَّات** هي «محبَّة الجسد غير العقلانيَّة»، وفي موضع آخر يقول إنَّ **محبَّة الذَّات** هي: «**محبَّة الجسد الأهوائيَّة وغير العقلانيَّة**». وفي موضع آخر يقول: إنَّ **محبَّة الذَّات** هي: «الشَّغَف بالجسد». وبالتالي فإن **محبَّة الذَّات** هي الشَّغف بالجسد، والمحبَّة الأهوائيَّة وغير العقلانيَّة للجسد، بالتالي فإنَّ **محبَّة الذَّات** تتعارض مع الحبِّ الحقيقيّ، ومع ضَبْطِ النَفس، لهذا السبب فإنَّ: «مَنْ يمتلك محبَّة الذَّات، يَكشِف أنَّهُ يمتلك سائر الأهواء».

ووفقًا **للقديس مكسيموس المعترف** فإنَّ **محبَّة الذَّات**، باعتبارها محبَّة غريبة وغير عقلانيَّة للجسد، هي أصل كُلِّ الأهواء، وهذا يعني أنَّ كُلَّ الأهواءِ تسبقُها **محبّةُ الذَّات**، وتتبعها **«القمّة»** التي هي **الكبرياء**. إنَّ **محبَّة الذَّات** هي: **«أُمُّ الأهواء»**، والجذْرُ الذي تنبع منه كُلُّ الأهواء، مثل «**الأفكار الأهوائيَّة» الثلاثة الأكثر عمومِيَّةً: الشراهة، محبة المجد، والمجد الباطل**، ومن هنا تتولَّد كُلُّ «قائمة الشرور». وهكذا، «من يمتلك **محبَّة الذَّات**، يَكتشِفُ أنه يمتلك سائر الأهواء».

إنَّ المحبَّة غير العقلانيَّة للجسدِ تتجَلَّى في إشباع الإنسان كُلَّ رغباته وملذَّاته واحتياجاته، بِغَضِّ النظِر عن بُنيَته كَكُلّ، وسيادة عقله وأخلاقه بالمعنى العام والخاصِّ للكلمة. في هَوى **محبَّة الذَّات**، يبتغي الإنسان من ناحية، إشباع كُلِّ الملذَّات الجسديَّة والرغبات الجنسِيَّة بلا حدود، ومن ناحية أخرى، إرهاق الجسد بلا حدود، لكي لا يتمكَّن من تقديم التضحيات.

إنَّ كُلَّ «**النشاط الجنسي**» غير المحدود، وإشباعه المستمر، والذي هو نموذج الإنسان الحديث والمجتمع الحديث، يخضع لهوى **محبَّة الذَّات**. غير أنَّ نُسك الكنيسة يهدف إلى مواجهة **محبَّة الذَّات** بالنُسك وفقَ تعاليم **المسيح**، والتوازن بين النَّفس والجسد حسب وصايا **المسيح**. ولذلك، **وكما** كتب **القديس مكسيموس المعترف**: «توقَّف عن محبّة نفسك وستُحِبُّ الله». ومَن يُحِبُّ الله فهو مُحبٌّ للآخرين أيضًا، ومن ناحيةٍ أخرى فإن مُحِبَّ الذَّات هو **كارِهٌ للهِ وللآخرين** في الوقتِ عينه. أعتقد أنَّ الهوى الأساسيّ في عصرنا هو هوى **محبَّة الذَّات**، كما حدَّدَهُ **آباءُ الكنيسة**.

https://www.gnothiseauton.org/2024/06/self-love-passion-of-our-time.html

تتمَّة من العدد السابق

شهادة صوفيًّا أورفانيدو: «الشيخ پورفيريوس، في كُلِّ مرَّة يدعوني فيها ابنةٌ روحيَّة»، أتذكَّر قول **الشيخ الجليل**، الذي قال لي في وقتٍ ما: « الأمر الأساسي الذي يجعل شخصًا ابنًا روحيًّا لأحدِ الشيوخ هو بمقدار إحساسه به، وليس كم من المرات قابَلَهُ في حياته. قابلتُ العديد من الأشخاص الذين لم يتعرَّفوا عليه، لكنهم شعروا به للغاية (أحَسُّوا بِهِ)، وأحبُّوه، وتَبِعوا مثال حياته (اقتدوا به). قالت لي إحدى رئيسات الأديار: أنَّها عندما قرأت سيرة **القديس پورفيريوس** للمرَّة الأولى، شعرت أنَّ **القديس** دخل بكامله في قلبها، وفي كُلِّ خليَّة من كيانها.

القديس پورفيريوس هو **هبة للقديس سيرافيم ساروف**، والعطيَّة العُظْمَى للهِ في حياتنا الخاصة . كانت بدايات عقد السبعينيَّات عندما قرأتُ كتاب «**القديس سيرافيم ساروف**»، **للكاتبة إيريني غوراينوف**، لقد لمسَ **القديس سيرافيم** نفسي للغاية، فطلبتُ منه أن يضع في طريق حياتي قديسًا معاصرًا؛ وبالفعل لم يمضِ من ذلك الوقت أكثر من أسبوعين عندما قادت محبَّة وعناية **المسيح** خطواتي إلى **كاليسيا**، في الموضع الذي استقرَّ فيه **القديس الشيخ پورفيريوس**، أَحتَفِظ في مُخيِّلتي حتى اليوم تذكار هذا التواصل، والتعرُّف الأوَّل مع قديس الله. من الصعب للغاية، أنْ تفهم أحد القديسين عندما لا تكون قد ذُقتَ طعم قداسته، سأُحاول رويدًا رويدًا أنْ أنقل للقُرَّاءِ ولو شيئًا يسيرًا من خبراتي.

« عندما كنتُ بالقُربِ منه، في كُلِّ مرَّة كنتُ أتذَوَّق فيها اهتمامه الأبوي، نصائحه الحكيمة، الخلاصيَّة، الاهتمام الحنون (الرقيق) لرعايتي الشخصيَّة. كانت نفسي تمتلىء من مشاعر الامتنان، الفرح، الرَّجاء والحماس. فقد كان كلامه هو لمسة من الله، كانت كَشفًا مُذهِلًا، الطريقة التي بواسطتها كان **القديس پورفيريوس** يكشف لنا مشيئة الله، وكان يقودنا وكان يُعَلِّمنا كيف نسلُك نحو **المسيح**، كيف نحبُّ **المسيح** الذي فوق الكُلِّ (ملكُ الكُلِّ). أعجز عن الوصفِ بكم من الأريحيَّة والسهولة كان لساني ينحلُّ (وكأنَّ انحلّت عقدة لسانها، فكانت تبوح باستطراد: المترجم) ، وكان يقدر عليَّ استئمانه، والاعتراف له بكُلِّ ما لم أَجرُؤْ حتى أمامَ نفسي الاعتراف بِهِ. فخلال سرِّ الاعتراف لم أَكُن أتَرَدَّدُ أنْ أضع تحت بطرشيلِهِ المقدَّس سقوطي الأعمَق، وأثقَل خطاياي، لم يُجَرِّحني قَطُّ ولا مرَّة واحدة، ولم يجعلني أشعر بالخجل أبدًا، ولم يَكُن يُسَبِّب أبدًا إحباطي. وكان يَفْهَمَنِي للغاية، وكان يدخل إلى أعماق وجودي، حتى يجلب إلى السطحِ كُلَّ ما كان مَنسيًّا أو حتى غير معروف. كان لديه أُسلوبُه الرقيق (اللَّين) والرحيم، الذي كان يقودك إلى معرفة الذَّاتِ والتوبة. لم أشعر ولو لمرَّةٍ واحدة بالشعورِ بالضغطِ بالقُربِ منه، ولا بشيءٍ منَ الغصب، ولا حتى الواجبات النفسيَّة الاجباريَّة. «يجب أن تعلمي هذا ... يجب أنْ...». كان يفحص ويحلِّل ويكشف نفسي، فكان يتكلَّم عن جراحاتها بدون أنْ يجرحني، فَبِصَلاته ومحبَّته التي لا توصف ولا تُحَدُّ، وَتَفَهُّمَهُ الذي كان به يفتح لنا آفاق محبَّة **المسيح**، والطاعة الحرَّة والطوعيَّة غير العشوائيَّة أو الإنتقائيَّة (التي **لا** تُطيع فقط ما يعجبها، بل **تُطيع** كُل وصايا الشيخ). كانت محبَّتة أشبه ببحرٍ تستطيعُ الإبحار فيه بدون خوفٍ، لأنَّك كنت تشعر بالقُربِ منه بالضمانِ والأمان والسلامة غير المحدودة.

قديسنا، قديس المحبَّة – كان يُحبُّ الجميع بدون تمييز – لم يكن عنده تمييز بين معارف وغير معروفين – فجميعنا كُنَّا أبناءَهُ وهو كان والدنا، وكان يباركنا ، يُعزِّينا، يريحنا، يشفينا، بمحبَّةٍ حيَّاشة، كان يشفي سِرِّيًّا أمراض النفس وأمراض الجسد أيضًا، كان يتألَّم معنا ويبكي متوسِّلًا **المسيح** لشفاء الأمراض، ولا سيِّما مرض السرطان، كم من الأشخاص شفى سِرِّيًّا وبشكلٍ واضح مكشوف؛ في إحدى أحاديثنا سألني عن المرض الذي يُعانيه أحد **الأساقفة** من معارفنا، قلت له: سرطان الكبد. «**قال لي: هذا المرض يوحي للمريض أنَّ حياته قد مضت، وأنَّه بعد قليل سيقابل سرَّ الموت**».

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

الفصل الخامس والثلاثون

تتمة من العدد السابق:

وفي تلك الحقبة أيضًا كتب **نكتاريوس** إلى **إيچينا** ما يلي:

«...إذا وَجَدُوا مُديرًا للمدرسَةِ قبل **عيد الفصح**، فسأَحضُر وأبقى معكُنَّ حتى أيلول؛ وأقول حتى أيلول لأنَّ المتروبوليت يُريدني أن أبقى في **البيرية** لمحاربة **جميع أنواع الهرطقات**؛ ولأنِّي أيضًا لم أحلَّ بعد مشكلة **كوستي** الذي لا يستطيع العيش في أيِّ مكان من دوني. كما أنَّه لا يستطيع البقاء معي بِقُربِكُنَّ. صلِّينَ إلى الله لكي يُرشدني فأعرف ما يجب عليَّ أنْ أفعله بهذا الخصوص.

وكحاشِيَةٍ سريعة، أقول لَكُنَّ إنَّ **كوستي** لا يُريد أنْ تُرسَل أمتعتي إلى **إيچينا**. إنَّه ينام ويصحو على هذا الحُلم.

أمَّا من جهتي، فقد تَوَقَّفتُ منذ سنواتٍ عديدة عن التفكير بهذا الحُلم. لكن **كوستي** لم ينفك يفكِّر به ليل نهار. عندما أَحضُر سوف نفكِّر سويًّا بإمكانية إقامتي مع كوستي والبقاء بِقُربِكُنَّ في الوقتِ نفسه ..».

الفصل السادس والثلاثون

«فَحِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيَكُمْ أَسْتُرُ عَيْنَيَّ عَنْكُمْ، وَإِنْ كَثَّرْتُمُ الصَّلاَةَ لاَ أَسْمَعُ. أَيْدِيكُمْ مَلآنَةٌ دَمًا. اِغْتَسِلُوا. تَنَقَّوْا. اعْزِلُوا شَرَّ أَفْعَالِكُمْ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيَّ. كُفُّوا عَنْ فِعْلِ الشَّرِّ.» (أش ١:١٥-١٦).

«وَتَعْلَمُونَ حَيْثُ أَنَا أَذْهَبُ وَتَعْلَمُونَ الطَّرِيقَ» (يو١٤:٤).

لا يمكن لأحدٍ أنْ ينسى أو يزدري حُبَّ إنسان امتحنته نار الزَّمان ولا تَفَانيه. لقد بَذَلَ **نكتاريوس** كُلَّ ما في وِسعِهِ لكي يُقنع معاونه المُخلِص **كوستي** بأنَّه لم يَعُد لديه خيارٌ آخر غير الإقامة في **إيچينا**، بسبب مسؤوليَّاته تُجاه تلك النفوس المسكينة. وقد تباحثا في إمكانية بناء غرفة بقربِ الدير ليسكن فيها **كوستي**، إلَّا أنَّ عائلة الشَّاب أبدَتْ معارضتها. فكيف يُقيم بمفرَدِه في هذا المكان المُقفِر؟ وكيف سيعتاد على الحياةِ النُسكيَّة، في ذلك المكان المخصَّص فقط للصلوات والخِدَم الليتورجيَّة والزُهد، وهو ليسَ براهب؟ وإذا حدث أنْ أُصيب بالمرَضِ في إحدى ليالي البرد القارس، فمن يهتم به؟ لكن **نكتاريوس** طمأنه بالقول:

ـ « وأنا أيضًا سأُقيمُ هناك مؤقتًا يا **قُسطنطين** (**كوستي**). سأمكث لبعض الوقتِ، ما يكفي لِأُلَقِنَهُنَّ الحياة النُسكيَّة وَأُؤَمِّنَ الوفاق بين الجميع والمحبة الكاملة. وعلى كُلِّ حال فإنَّ **إيچينا** تُعتبر كَضاحية من ضواحي **أثينا**. وسوفَ نتلاقى ...

ـ « لكنهم سيدعوننا إلى **مصرَ** في وقتٍ قريبٍ جدًّا، سترى.»

ـ «إذا دعونا ...»

ـ « هل سنرفض؟ مُستحيلٌ!»

ـ « لا تقلق، فكلُّ شيء سيتمُّ حسب مشيئة **الرَّبِّ**».

وابتسم **نكتاريوس** وباركه.

إنَّ جماهير كثيرة من الناسِ في **أثينا** و**البيريه** عَلِمُوا باستقالته، وصاروا يطلبون رؤيته يومًا بعد يوم، فلم يَعُد لديه الوقت الكافي لاستقبال أصدقائه ومعارفه.

وصارت الجموع من سكان **جادَة كيفسِيًّا** الذين اعتادوا أنْ يستمعوا إلى موعظاته منذ سنواتٍ، يأتونه بوجوهٍ شاردة، حاملين أسئلة كثيرة. كانوا يتحرَّقون رغبة في التعبير عن عواطفهم. وأرادوا أنْ يُساعِدوه، فصاروا يُحضرون له المال من أجلِ تشييد الدير الجديد هناك في الجزيرة ويقولون:

ـ « تَقَبَّل فِلْسَي الأرملة يا صاحب السِّيادة».

وقد عَمَّ الذُهول والاضطراب والضِّيَاع في **منزل عائلة مانطوبولوس**. فقدوا الضريرة منذ ثلاث سنوات، وكانت **كزهرة البيريه الخالدة**، فاختارت النُسك والجهاد وصارت تُدعى **الأخت كساني**. وها أنَّ الشيخ المُلهم المتواضع يرحل الآن. هذا **الأسقف** الذي وُهِبَ النعمة المقدَّسة، وكان **يُشَرِّف** مائدتهم في أيام الأعياد، ويُبارك جميع أعمالهم الحسنة. وكان حضوره يشعُّ فيما بينهم بالفرح العارم، والسلام وبعض الأمل بحياة ملكوت السموات.

ولهذا ملأَ الذهول والحزن الصامت والقلق، ذلك المنزل الواسع.

وصارت تأتيهِ كلَّ يوم من المدينتين (**أثينا** و**البيريه**) جموعٌ من الناس من كُلِّ نوع، فقط لتقبيل يده باحترام، وكان من بينهم الكثير من العمَّال والحِرَفِيِّين الصغار، وقُدَامى البَحَّارة، وأرباب أُسَر فقيرة، وكانوا يَذرفون الدموع وهم يودِّعونه قائلين:

ـ « لِتحمل لك الحياة كُلَّ خير يا صاحب السِّيادة. ولتَكُن سنوكَ عديدة».

في ذلك الوقت لم يَكُن السفر سهلًا لهؤلاءِ الناس، ولو لمسافاتٍ قَصيرة. ولم يكونوا يملكون المال الكافي ليستقلُّوا الباخرة إلى **زانطا**.

ورَحَلَ **نكتاريوس** في صباحِ أحد الأيام، بعد **عيد الفصح**، كما كان مُقَرَّرًا. ورافقه **كوستي** مع صديقتين أو ثلاثٍ. وأطلقت الباخرة صَفَّارتها، وتَصاعَدَ الدُخان ثُمَّ صَفرت من جديد واهتزَّت، وانطلقت في **خليج سالونيك**. وتجاوزت **بسيتاليا** وحاذت **سلامين** ثمَّ دخلت في عُرضِ البحر باتجاه شواطىء **إيچينا** المعروفة.

وعند وصوله استقبله سكان **إيچينا** على رصيف الميناء بحماسٍ شديد. وقد شعروا فِطريًّا بأنَّ شفاء جزيرتهم وازدهارها يأتيانهم مع **هذا الشيخ** البسيط، هذا **الأسقف** المشغوف بالوحدة والذي عَزَلته الإسكندريَّة.

وفي الدير كان عيدٌ عظمٌ للراهبات.

(يتبع)

الجبل المقدّس آثوس – دير دُوخيارِيُّو

يقع **دير دُوخيارِيُّو** في الجهة الجنوبيَّة الغربيَّة الساحليَّة من **شبه جزيرة آثوس**. الدير مبني على منحدر يصل جبلًا كثيف الشجر بالبحر.

مَرْتَبَةُ الدير، في النظام التَسلْسُلِي لأديرة الجبل، هي العاشرة. هو مُكرّس **لرؤساء الملائكة** المعيّد لهم في ٨ تشرين الثاني حسب التقويم الشرقي.

تاريخ الدير:

أَسَّسَ الدير **القدّيس أوفثيميوس** (المعيّد له في ٩ تشرين الثاني) في العام ٩٦٧م. هذا تَتَلْمَذَ على يَدِ **القدّيس أثناسيوس الآثوسي** وكان هو المسؤول عن مخازن الدير (يُدعَى دُوخياريس) **(Docheiaris)** في **دير اللافرا الكبير**. من هنا **اسم الدير (دُخياريُّو)** ***(Docheiariou)***. مكان الدير في الأصل كان في نواحي **مَرْفَأ دافني**، لكن هَجَمَات القراصنة المتتالية أجبرت **القدّيس أوفثيميوس** ورهبانه على الأنتقال إلى مكان آخر بالقرب من **دير كزينوفونتوس**. وحوالي العام ١٠٨٣م ، قرَّر الأخوة إعمار الدير في المكان الذي يوجد فيه اليوم.

حصل الدير في هذه الفترة على مساعدة **الأمبراطور قوسطنطينوس دوكاس وألكسيوس كومنينوس**. عمَّر الدير رئيسه، **القدّيس نيوفيطوس**، ابن أخ **القدّيس أوفثيميوس** (المعيّد له مع عمه في ٩ تشرين الثاني)، وهو من عائلة نبيلة من القسطنطينيَّة، وقد وهبه كل أمواله وممتلكاته.

كُرِّس الدَّير **لرؤساءِ الملائكة** بسبب حادثةٍ تدَّخلَ فيها **رئيسا الملائكة ميخائيل وجبرائيل**. تروي القصة أنَّهُ ذات مَرَّة اكتشف راعٍ يعمل في الدير، كنزًا كبيرًا من الذهب في حقلٍ يعود **لدير دُوخيارِيُّو**. وكان بصحبته ثلاثة رهبان كانوا بالقرب منه، وحين عودتهم إلى الدير، وهم يحملون أكياس الذهب، **فإنَّ عدو الخير** وضع في قلب الرهبان أنْ يحتفظا بالمال. فاستولوا على الذهب وألقيا بالرَّاعي في البحر بعدما علَّقا في عنقه **قطعة من الرُخام**. واتفقوا أنْ يُعلِموا **رئيس الدير** أنَّ الرَّاعي سرق المال وهرب. لكن بعجيبة وُجِدَ الرَّاعي في كنيسة الدير، في حالٍ من الهلع، مُبلَّل **وقطعة الرُخام** معلَّقة في عنقه. روى الرَّاعي **لرئيس الدير** أنَّ **نِسْرَيْنِ ذَهَبِيَّيْنِ** انتشلاه من قعر البحر وجاءَا به إلى هُنا. طلب **رئيس الدير** من الرَّاعي أنْ يبقى في الكنيسة، وعندما وصل الرهبان الثلاثة، ودخلوا الكنيسة شاهدوا الرَّاعي على هذه الحال، فأصيبوا بالذُّهول ولم يستطيعوا الكلام فأُنصِفَ الرَّاعِي **وكُشفت المكيدة**. إعتبر الرهبان في الدير أنَّ النسرَين هما **رئيسا الملائكة ميخائيل وجبرائيل**.

لهذا السبب كُرِّس الدير **لرؤساء الملائكة**. في المكان الذي وقف فيه الرَّاعي وضعت **حجرة (بلاطة) خضراء، وما زال الدير يحتفظ بقطعة الرُخام التي كانت معلّقة في عنق الرَّاعي**.

ملحوظة: **سنخصِّص مقال خاص لهذه العجيبة الفريدة والمميَّزة.**

ازدهر الدير في القرون الثلاثة الأولى من انشائه. في القرن ١٤، وقع **تحت سيطرة اللاتين**، لكنه استطاع الأستمرار بمساعدة **الأمبراطور يوحنا پاليُولوغوس وحاكم صربيا ستيفانوس دوسان**. في **عهد الأحتلال التركي**، وقع في الإهمال **لأن الأتراك** صادروا معظم أملاكه. في القرن ١٦، أعاد إحياء الدير الكاهن جاورجيوس الذي من أدريونوبوليس. هذا الأخير شُفي من داء مزمن **بفضل المياه الجارية من عين مياه مكرَّسة لرؤساء الملائكة في الدير**. وابتداء من العام ١٥٦٨، جرى إعادة إعمار الدير بشكل منتظم بالرغم من **غزوات القراصنة المتتالية**. ساعد على ذلك تبرُّعات أحد أمراء مولدافيا وفلاخيا ألكسندر وزوجته روكساندرا. فبمعونتهما تمَّ بناء الكاثوليكون ومعظم

الأبنية في الدير وأُعيدت له معظم الأراضي التي كان قد استولى عليها **الأتراك**. وقد توقف نمو الدير قليلًا في فترة **الثورة اليونانيَّة** عام ١٨٢١.

يتبع الدير النظام الشركوي منذ العام ١٩٨٠.

معالم الدير:

يظهر **الدير** للزائر **كقلعة مُحَصَّنة**. تتميَّز باحته بمستويات مختلفة بسبب الأرض المنحدرة التي بُنِيَ عليها **الدير**.

ينتصب كاثوليكون **الدير** في الباحة السفلى المطلَّة على البحر. هو مبنى فسيح وعال يتبع الهندسة التقليديَّة. أخذ شكله النهائي حوالي العام ١٥٦٨. هيكله الأساسي يعود إلى القرن ١١. وقد رُسِمَ في الفترة عينها التي شُيِّد بها بالكامل. **يَطْغَى على الجداريَّات في الكنيسة طابع المدرسة الكريتيَّة والرسّام ثيوفانيس**. تعتبر هذه الرسوم من الطراز الفنِّي الرَّفيع وهي تنسب **لرسام كريتي اسمه تزورتزيس (Tzortzis)**.

الإيقونسطاس والقائمة التي تُغطي المذبح هما من الخشب المحفور والمذَهَّب بشكل مميَّز ودقيق.

إلى شمال النارثكس يقعُ **ضريح ثيوفانيس، الأسقف** الذي ترك العالم والتجأ إلى **دير ذُوخياريُّو** حيث تَرَهَّب ورقد كراهبٍ بسيط.

مقابل الجهة الشماليَّة للكاثوليكون يقعُ **حوض تقديس المياه** الذي يحوي عين المياه التي **لرئيسَي الملائكة**. هذه العين كُشف عنها عام ١٣٠٠ إثر ظهور عجائبي **لرئيسَي الملائكة** شَاهدَهُما في رؤيا راهب في الدير.

في الدير ٦ كنائس أخرى إلى جانب الكاثوليكون، بالإضافة إلى ٣ كنائس خارج حَرَمِهِ.

وبحسب العادة المتبعة في الجبل تقع قاعة الطعام مقابل مدخل الكاثوليكون وهي موصولة به برواق خارجي؛ وفي الجهة اليُمنى لهذا الرواق الذي يربط الكنيسة المركزيَّة بقاعة الطعام، أُسِّسَت **كنيسة والدة الإله Gorgoepikoos السريعة الاستجابة وهي تضم الأيقونة الحاملة الأسم**. بنيت قاعة الطعام في القرن ١٢، وأخذت شكلها النهائي حوالي العام ١٥٤٧. القاعة واسعة ومرسومة بالكامل.

تقعُ مكتبة الدير في البرج الدفاعي للدير. فيها **٤٤١ مخطوطًا** منها **٦٢ مكتوبًا على أدراج**، وأكثر من **٣٠٠٠ كتاب مطبوع**.

من كنوز الدير بالإضافة إلى **أيقونة والدة الإله السريعة الاستجابة**، عدد كبير من **ذخائر القدّيسين** بالإضافة إلى قطع من الصليب المقدَّس وأيقونات بيزنطيَّة.

يملك **الدير** قلايتَين **في كارييس**. وأيضًا تمَّ بناء **دير باناجيا ثيوسكيباستو سوخو المقدس للراهبات** الذي يقع خارج قرية سوخو مباشرةً. على مسافة ٦٠ كم من مدينة تسالونيكي.

أيقونة العذراء Gorgoepikoos السريعة الأستجابة:

أيقونة العذراء السريعة الإستجابة هي أيقونة جداريَّة مُغطاة بغلاف من الفِضَّة. بحسب التقليد كُتِبَت هذه الأيقونة في القرن العاشر.

في الأصل كانت هذه الأيقونة موجودة على حائط قاعة الطعام، فوق الباب الذي يجتاز فيه الرهبان على عادتهم للدخول إلى القاعة.

في السنة ١٦٦٤ سَمِع خادم المائدة **الراهب نيلوس** الذي كان بحكم عمله يجتاز هذا الباب أكثر من غيره، سمع ليلًا - وكان حاملًا بيده مشعلًا - صوتًا من الأيقونة يقول له: «**لا تقتربنَّ فيما بعد إلى هنا بمشعلك ولا تسوِّد أيقونتي بدُخانك**». خاف **نيلوس** أوَّلًا ثمَّ هدأ روعه وعاد إلى قلايته حاسبًا أنَّ ما سمعه كان مزاحًا من أحَدِ الأخوة. وتابع على عادته الاجتياز قرب الأيقونة حاملًا بيده مشعلًا ملتهبًا فسمع من الأيقونة صوتًا يقول له: «**يا لك من راهب غير مستحق لهذا الاسم، أَتُسوِّد أيقونتي هكذا بلا مبالاة ولا خجل**». فعند سماعه هذه الكلمات، **عَمِيَ نيلوس لساعته** وأدرك أنَّ الصَّوت الذي سمعه في المرَّة الأولى **كان صوت والدة الإلٰه الصادر من أيقونتها الشريفة**، فَنَدِمَ على عدم انتباهه واعتبر نفسه مستوجبًا بعدلٍ هذه العقوبة.

في صباح اليوم التالي وجده الأخوة ملقًى **أمام الأيقونة**. وعندما سمعوا منه ما حدث له، سجدوا بورع **أمام الأيقونة** وأوقدوا أمامها قنديلًا دائم الاشتعال وانتخبوا خادمًا جديدًا للمائدة، وطلبوا منه أنْ يبخرها كُلَّ مساء.

أمَّا **نيلوس** فكان يُصلِّي باكيًا **أمام الأيقونة** ليلًا نهارًا مُعترفًا بخطيئته. وبعد زمن استجابت **والدة الإلٰه** لتوبته القلبيَّة ودموع صلاته. ففي أحد الأيام عندما كان يُصلِّي ويبكي **أمام أيقونتها العجائبيَّة** سمع صوتًا ملؤه الحنان يقول له: «يا نيلوس قد سُمِعَت صلاتك فصُفِحَ عنك وستُمنَح عيناك الضِّياء، فإذا ما نلت منِّي هذه الرحمة، بَشِّر الأخوة بأنَّني أنا سترهم ومدبرتهم، والمحامية عن ديرهم **المكرَّس لرؤساء الملائكة**، فليلجأوا إليَّ هم وجميع الأرثوذكسيِّين وأنا لا أهمل أحدًا، وسأكون الشفيعة لجميع الملتجئين إليَّ بورع، **وابني وإلهي** يستجيبُ لطلباتهم كلها **لأجل شفاعتي أمامه**. لذلك تُدعى أيقونتي هذه من الآن **السريعة الاستجابة** لأني سأكون سريعة في تحقيق طلبات جميع المستغيثين بي بحقٍّ أمامها».

بعد هذا الكلام، أبصر **نيلوس النور** وشكر **السَّيِّدة** بدموع استجابتها لِتَضَرُّعِهِ، وذاع خبر هذا الحادث العجيب بسرعة **في جبل آثوس المقدس كلّه**، فتوافد كثير من الرهبان ليسجدوا **للأيقونة المقدسة** ويعاينوا خادم المائدة الذي عوقب ثم رُحم، فغُفِر له وعاد بصيرًا.

فيما بعد اتفق الرهبان على إحاطة ممرِّ المائدة ببناء بحيث يصبح المكان مَقامًا، وشيَّدوا **كنيسة** إلى جهة **الأيقونة** اليُمنى على اسم **والدة الإلٰه السريعة الاستجابة** وقرَّروا تعيين راهب كاهن يُقيم دائمًا عند **الأيقونة** حيثُ يُحْتَفَلُ صباحًا ومساءً بالصَّلوات أمامها ويُشْعَلُ وَيُوقَد قنديلٌ من الزَّيت، وأن يجتمع الرهبان يومي الثلاثاء والخميس من كل أسبوع مساءً ليرنموا صلاة الابتهال أمامها (قانون البراكليسي) وأيضًا صلاة خاصّة للأيقونة العجائبيَّة. **وقد جرت عدة عجائب هناك: شفاء العميان والعرج والمصابين بالفالج، ونجت ببركة الأيقونة، كثير من السفن الموشكة على الغرق وكذلك من الأسر.**

Θαυματουργή εικόνα της Παναγίας της Γουγουεπηκόου

أيقونة باناچيا جورجوبيكو (سريعة الاستجابة) العجائِبيَّة

أيقونة العذراء
الحقيقيَّة ، الأصليَّة والعجائبيَّة
التي تكلَّمت مع المتوحد نيلوس

مدخل قاعة
الطعام المركزيَّة

مدخل الكنيسة التي أقيمت
قرب الأيقونة العجائبيَّة

الكنيسة التي خصِّصت
قرب الأيقونة العجائبيَّة
من الداخل

Σπάνιο κειμήλιο της Ιεράς Μονής Δοχειαρίου

ذخائر مقدَّسة نادرة ـ دير دوخياريُّو العامر والمقدَّس

١) - الصليب الكريم المحيي + ذخائر القديس آخيليوس.

٢) - هامة القديس يوحنا المعمدان + ذخائر القديس بروكوبيوس من الأعلى، + ذخائر القديس خرالمبوس من الجزء الأسفل من العلبة المعدنيَّة المقدسة.

٣) - هامة القديس ذيونيسيوس الأريوپاغي - أوَّل اسقف لمدينة أثينا، سامه القديس بولس الرسول.

٤) - هامة القديس مطروفانيس بطريرك القسطنطينيَّة.

٥) - اليد اليُمنى للقديسة براسكيڤي يشمل الجلد المقدس ليدها الكريمة.

٦) - اليد اليُمنى للقديسة مارينا.

٧) - منديل القديس ديمتريوس الفائض الطيب، المبلَّل بدمه الكريم عند استشهاده.

٨) - ذخيرة مقدَّسة طويلة، للقديس ثيوذوروس بيزنطِيُّو، ظاهرٌ منها فتحتين عن اليمين واليسار .

Σπάνιο κειμήλιο της Ιεράς Μονής Δοχειαρίου

ذخائر مقدَّسة نادرة ـ دير دوخياريُّو العامر والمقدَّس

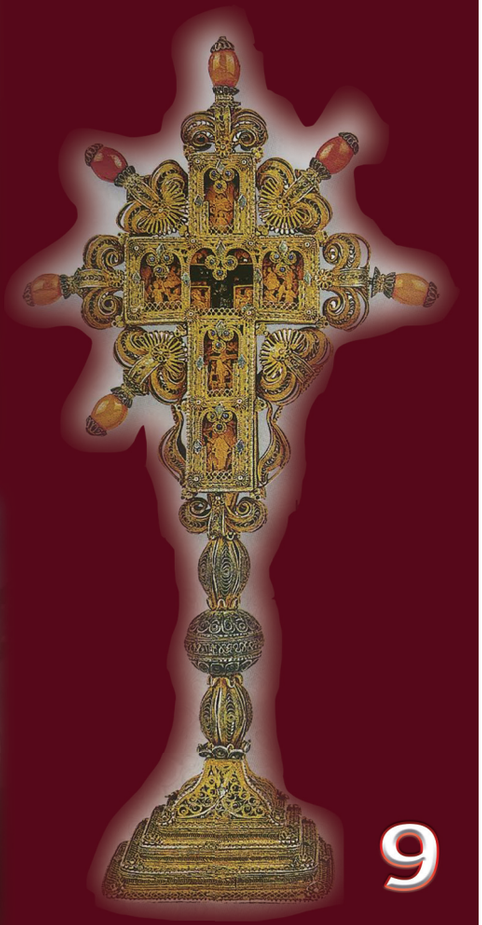

٩) - الصليب : هو حامي المسكونة قاطبة، الصليب جمال الكنيسة بامتياز ومنارتها المُشعَّة بالنور الإلهي غير المخلوق.
هذا الصليب مصنوع من الخيوط المعدنيّة (أسلاك)، بالإضافة الى عمل الزخرف والصياغة الفريدة المقرونة بالأحجار الثمينة.

الإصحاح الرابع

العظة الثالثة عشرة: (١كو٤: ١٠-١٦)

«**نَحْنُ جُهَّالٌ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ**»،«هناك ضرورة أنْ أبدأ كلمتي مرَّةً أُخرى إنطلاقًا من هنا» «**وَأَمَّا أَنْتُمْ فَحُكَمَاءُ فِي الْمَسِيحِ! نَحْنُ ضُعَفَاءُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَقْوِيَاءُ! أَنْتُمْ مُكَرَّمُونَ، وَأَمَّا نَحْنُ فَبِلاَ كَرَامَةٍ!**» (**١كو ٤: ١٠**).

١- بعدما تحدَّثَ بكلماتِ تأنيب قاسية - الأمر الذي يُؤلِم أكثر من أيِّ إدانة - وبعدما قال: «مَلَكْتُمْ بِدُونِنَا» (١كو٤: ٨)، وأيضًا: «أَنَّ اللهَ أَبْرَزَنَا نَحْنُ الرُّسُلَ آخِرِينَ، كَأَنَّنَا مَحْكُومٌ عَلَيْنَا بِالْمَوْتِ» (١كو٤: ٩)، نجده بعد ذلك يُظهِر كيف أنَّهم تحت **حُكم الموت**، قائلًا: «نَحْنُ جُهَّالٌ ... نَحْنُ ضُعَفَاءُ... بِلاَ كَرَامَةٍ... نَجُوعُ وَنَعْطَشُ وَنَعْرَى وَنُلْكَمُ وَلَيْسَ لَنَا إِقَامَةٌ، وَنَتْعَبُ عَامِلِينَ بِأَيْدِينَا.» (١كو٤: ١٠-١٢) وكُلُّ هذا، كما هو معروفٌ، يُشيرُ إلى نماذج من المعلِّمين والرُسل الحقيقيِّين. أمَّا أولئك فيفتخرون بما هو عكس ذلك، يفتخرون **بالحكمة العالميَّة، بالمجد، بالغِنى، وبالكرامة**. ولأنَّه أراد أنْ ينزع افتخارهم ويُبرهن لهم أنَّه من أجلِ هذه الأمور، ليس فقط لا ينبغي أن يفتخروا، بل عليهم أنْ **يخجلوا**، آخذًا أوَّلًا يتهكَّم عليهم، قائلًا: «مَلَكْتُمْ بِدُونِنَا»، وكأنَّه يقول: إنَّ الزمان الحاضر **ليس** للكرامةِ وللمجدِ اللذيْنِ تتمتعان بهما. بل إنَّه **وقت المطاردات والإهانة** التي نُعانيها نحنُ. ولكن إذا كان هذا هو وقت المكافآت، كما أرى (في تصرفاتكم) - وهذا يقوله متهكِّمًا - فأنتم من ناحية تلاميذ، ولكنكم الآن أنتم ملوك، بينما نحنُ المعلِّمون والرُسل الذين كان يجب أنْ ننال الأجر، ليس فقط صِرنا آخر الكُلِّ، بل أيضًا نحيا **كأنَّنا محكومٌ علينا بالموتِ**، أي كأنَّنا محكومٌ علينا بالإهانةِ بصفةٍ دائمة وبالتعرُّض للمخاطر وبالجوعِ وبالشتيمة كَجُهَّال، وَكَمُضطَهَدين ومُحتَمِلِينَ للعذابات الكثيرة.

تَكلَّمَ بهذه الأمور، لكي يجعل هؤلاء يفهمون مِنْ خلالِ تلك الآلام، أنَّهم مَدِينُون أنْ يشتهوا. وبغيرَةٍ كبيرة - إجتياز ما اجتازه الرُسُل، أي **الأخطار والإهانات**، وليس الكرامة والمجد، لأنَّ هذا هو ما تتطلَّبُهُ الكَرازة. ولكنه لا يتحدَّث عن ذلك بشكلٍ مُباشر، حتى لا يبدو لهؤلاءِ، كَحِملٍ ثقيل، بل يُوَجِّه هذا التأنيب، بطريقة تتناسب مع حالتهم. بمعنى أنَّه لو كان قد تكلَّمَ مُباشرةً، لقال: لقد خُدِعتم وَغُدِرَ بِكُم وابتعدتم كثيرًا عن النهج الرسولي، لأنَّ الرسول هو خادم للمسيح ويجب أنْ يَظهرَ بِأنَّه جاهل وأنْ يحيا في ضيقات وآلام وازدراء، وهي الحالة التي نحنُ فيها مُقيمون، أمَّا مِن جهتكم، فإنَّ العكس هو الحادث. إلَّا أنَّ هذه الكلمات، ستبدو لهؤلاء بمثابة مديح للرُسل، وبالنسبةِ لأولئك تبدو أكثر وقاحة، لأنَّها تتهمهم بالخمول والمجد الباطل والتكاسل والرخاوة. ولذلك فهو لم يَتَّبِع هذه الطريقة في كُلِّ ما قالَه، بل اتَّبَعَ طريقًا أقْسَى، لكنها أقلُّ إزعاجًا. ولذلك يتحدَّث بِتَهَكُّم، قائلًا: «أَنْتُمْ فَأَقْوِيَاءُ! أَنْتُمْ مُكَرَّمُونَ»، وإنْ لم يستخدم هذا الأسلوب مِنَ التَهَكُّم، لاستطاعَ أنْ يقول لهم: مِنْ غير الممكن أنْ يكون أحدٌ جاهلًا، والآخر مُفكِرًا، الواحد قويًّا، والآخر ضعيفًا، في اللحظة التي تتطلَّب فيها الكرازة أُمورًا أُخرى. بمعنى أنَّه: لو أنَّه سُمِحَ للبعضِ أنْ يكونوا جُهَّالًا وضُعفاء، والبعض الآخر أقوياء ومُكرَّمين، لرُبما كان لكلامهم بعضُ الحقِّ، أمَّا الآن فلامجال لأحدٍ أنْ يَظهَرَ كحكيم ومُكرَّم وخاليًا من الأخطاء. وبناءً على ذلك، فإنَّ الله فضَّلكم أنتم علينا، فَضَّلكم أنتم التلاميذ علينا نحن المعلِّمين الذين عانينا آلام لا حصرَ لها. وإنْ لم يستطع أحدٌ أنْ يعترف بهذا، فيبقى عليكم أنْ تتبعوا انتم نهج حياتنا.

٢- ولا ينبغي لأحد أنْ يتخيَّل - هكذا يقول - أنَّنا نُشير فقط إلى أمور تخصُّ الماضي، لأنَّه:

«**إِلَى هذِهِ السَّاعَةِ نَجُوعُ وَنَعْطَشُ وَنَعْرَى**» (**١كو ٤: ١١**).

أرأيتَ كيفَ يجب لهذا السلوك، أنْ يكون هو السَّائد على حياة المسيحيِّين بصورةٍ كاملة، وليس ليوم أو يومين فقط؟ لأنَّه بالنسبةِ للرياضِيِّين، لا يُمكن لأحدٍ أن يُتَوَّج، إذا حقَّقَ فوزًا واحدًا فقط، ثُمَّ

هُزِمَ بعد ذلك، وهذا أمرٌ حتميّ. يقول: «نَجُوعُ»، بعكس أولئك الذين يعيشون حياة مُرفَّهة، ثمَّ يقول: «نُلْكَمُ» بعكس المفتخرين، «وَلَيْسَ لَنَا إِقَامَةٌ»، لأنَّنا مُطارَدون، «وَنَعْرَى»، على عكس الأغنياء، «وَنَتْعَبُ»، على عكس الرُسل الكذبة الذين لا يحتملون حتى مجرَّد أنْ يَعمَلُوا وألَّا يتعرَّضوا للأخطار، بل يحصلوا هم أنفسهم على الثمر.

لكنَّنا – هكذا يقول – لسنا مثل أولئك المفتخرين، بل نحنُ مُعرَّضون للأخطارِ التي تأتي مِنَ الخارج، بل ونكون مستعدِّين للعملِ الدَّائم. والأهم مِنْ ذلك كُلِّه، أنَّه لا يستطيع أحدٌ أنْ يَدَّعِي، أنَّنا نتضايق أو نغضب لأنَّنا نجتاز هذه الآلام، لأنَّنا نُكافأ بعكس ما يصنعه بنا هؤلاء. أي أنَّ هذا أمرٌ عظيم، فليست الآلام وسوء المعاملة في حَدِّ ذاتها، هي التي تجعلنا حُكماء وأقوياء - لأنَّ هذا هو أمرٌ محتوم للجميع - بل الذي يجعلنا هكذا، هو أنَّنا نحتمل كُلَّ شيء بصبر، ولا نثور أو نغضب عندما نجتاز الآلام. إلَّا أنَّنا نُكافِئ مَنْ يُسيء إلينا، بالإحسان. ومِنْ حيث أنَّنا نفعل ذلك، إسمع ماذا يقول:

«نُشْتَمُ فَنُبَارِكُ. نُضْطَهَدُ فَنَحْتَمِلُ. يُفْتَرَى عَلَيْنَا فَنَعِظُ. صِرْنَا كَأَقْذَارِ الْعَالَمِ وَوَسَخِ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى الآنَ.» (١كو ٤: ١٢–١٣).

بمعنى أنَّنا جُهَّال من أجلِ المسيح، لأنَّ الذي يُساءُ إليه ولا ينتقم لنفسِهِ، ولا يغتمّ، يبدو للذين هم خارج الإيمان، أنَّه أحمق ومُحتَقر وضعيف. ولكي لا يجعل كلامه أكثر إزعاجًا، بأنْ يحصر الآلام في مدينة أولئك (**كورنثوس**)، يقول: «صِرْنَا كَأَقْذَار» ليس فقط مدينتكم، بل أقذار العالم كلِّه، أيضًا : «وَوَسَخِ كُلِّ شَيْءٍ»، ليس فقط في مدينتكم، بل في كُلِّ مكان.

تمامًا مثلما تكلَّمَ عن رعاية المسيح، وبعدما ترك الحديث عن الأرضِ والسماء وكُلِّ المسكونة، يُشير إلى الصليب كدليل وبُرهان على ما يقول، هكذا عندما يُريدُ أنْ يجذب الانتباه إليه، يترك العلامات أو الآيات جانبًا، ويتحدَّث عن كُلِّ ما عاناه من أجلهم. هكذا نحنُ أيضًا، اعتدنا أنْ نذكر كُلَّ ما عانينا منه مِنْ أجلِ هؤلاء، عندما نُظلَم ونُحتَقر منهم. يقول: «صِرْنَا... وَسَخِ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى الآنَ.» (١كو ٤: ١٣). هكذا صَوَّب ضربة قويَّة في النهاية. يقول: إنَّنا نُعاني كُلَّ هذا مِنْ أجلِ هؤلاء، بمعنى إنَّني مَدين بالكثيرِ مِنَ الخدمةِ لهؤلاءِ. هذا الكلام يُشير إلى إنسان حزين، لكنه هو نفسه غير مغتمّ، بل يُريد لهم أنْ يستفيقوا. أي لديه أسباب كثيرة جدًّا لإدانتهم، ومع ذلك يحتضنهم، فإنَّ المسيح أوصانا أنْ نحتملَ الإهانات بوداعة، لكي نحيَا نحنُ أنفسنا بحكمة، ولكي نجعل هؤلاء يخجلون أكثر. وهذا ما يُحقِّقه المرءُ لا بالإهانة، بقدرِ ما يُحقِّقه بالصمتِ.

٣– ولأنَّه رأى أنَّ الجُرح لا يُحتَمل، فقد عالجهُ على وجه السرعة، بقوله:

«لَيْسَ لِكَيْ أُخَجِّلَكُمْ أَكْتُبُ بِهذَا، بَلْ كَأَوْلاَدِي الأَحِبَّاءِ أُنْذِرُكُمْ.» (١كو ٤: ١٤).

أي أنَّه يقول: لا أتكلَّم بهذا الكلام لكي أُخجلكم. فحينَ يحاول المرء أنْ يجدَ مُبرِّرًا لتصرفاته الشائنة، يقول إنَّ ما فعله لم يَكُن بضميرٍ بغيض وشرِّير، أو أنَّ الغضب كان مُسَيطرًا عليه، لذلك كانت طريقة الرسول بولس في العلاج، هي الطريقة المُثلَى. لأنَّه مِنْ غير الممكن ألَّا يتكلَّم، لأنَّهم سيبقون بلا إصلاح، لكن أنْ يتكلَّم، ثمَّ يترك الجُرح مرَّة أُخرى بلا علاج، فسيكون هذا أمرًا مُفزِعًا، ولأجلِ ذلك دافَعَ عن نفسِهِ بشدَّةٍ؛ وهذا قد يحدث، لأنَّه ليس فقط لم يدهن الجرح بالمراهم، بل جعله يزداد عُمقًا، لذلك فإنَّ ما قاله، يخفِّف وَيُهَدِّئُ مِنْ الألم، لأنَّ ذاك الذي سمع أنَّه تكلَّمَ بهذا الكلام، لا برغبة في التهكُّم، بل بمحبَّة، يقبل الإصلاح أكثر.

وهنا أيضًا تظهر الجديَّة والحياء. بمعنى أنَّه لم يتكلَّم كمعلِّم، ولا كرسول، ولا كمن له تلاميذ - الأمر الذي كان مستحقًّا له - بل قال: «كَأَوْلاَدِي الأَحِبَّاءِ أُنْذِرُكُمْ». ومَن ذا الذي لا يقبل أنْ يسمع لأبٍ يتضايق (بسبب سلوكِ أبنائِهِ المنحرف)، بل وينصح بالأمور اللائقة؟ ولذلك لم يتكلَّم بهذا مِنْ قبلُ، لكنه فعل هذا بعدما أنَّبَهم. ماذا إذن؟ فرُبما يقول أحدٌ، هل المعلِّمون الآخرون لا يهتمُّون بنا؟ أنا لا أقصد هذا، لكنهم لا يهتمون بالقَدرِ الكافي. وهو لم يتكلَّم بهذا مباشرةً، لكنه صَرَّحَ به، بعدما استخدم كلماتٍ خاصَّة مثل «أَوْلاَدِي» و «أَبٌ».

يقول: «لأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ لَكُمْ رِبَوَاتٌ مِنَ الْمُرْشِدِينَ فِي الْمَسِيحِ، لكِنْ لَيْسَ آبَاءٌ كَثِيرُونَ. لأَنِّي أَنَا وَلَدْتُكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ بِالإِنْجِيلِ.» (١كو ٤: ١٥).

إنَّه لا يُعلِنُ هنا رتبته كرسول، بل يُعبِّر عن مقدار المحبَّة الفائقة التي يحملها **لأهلِ كورنثوس**، وبأضافة عبارة: «فِي الْمَسِيحِ»، يكون قد شجَّعهم، بأنْ يدعوهم ليس مُداهنين أو متملِّقين، بل مُرشِدين، الذين يُعلِّمون برغبة قويَّة، مُحتملين للآلام، وفي ذات الوقت أعلَنَ عن اهتمامه بهم. ولم يَقُل: «**ليس لكم معلِّمون**»، بل قال: «لَيْسَ لَكُمْ آبَاءٌ كَثِيرُونَ». هكذا لم يُرِد أنْ يُشير أو يذكر رتبته الرسوليَّة، وألَّا يُذكِّر بأنَّهم قد استفادوا منه أكثر مِنْ أيِّ أحدٍ آخر، لكنه بعدما تسامح عن كُلِّ ما عاناه لأجلهم - لأنَّه هكذا ينبغي أنْ يكون المعلِّم - احتفظَ في نفسِه بهذه المحبَّة الفائقة، لأنَّ هذه هي سمات الأب. ولم يَقُل أنَّه لا يوجد أحدٌ قد أحبَّكم كُلَّ هذا الحبّ الكبير، الأمر الذي يُعبِّر عن تسرُّع في الحُكم، لكنَّه يُشير إلى حقيقةٍ مؤكَّدة، وهي: «أَنَا وَلَدْتُكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ بِالإِنْجِيلِ.».

يقول: «فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ»، أي لا أعتبر هذا عملًا خاصًّا بي. وهنا يوجِّه ضربة أُخرى لهؤلاء الذين نَسَبوا لأنفسهم النجاح في التعليم. «لأَنَّكُمْ أَنْتُمْ خَتْمُ رِسَالَتِي فِي الرَّبِّ.» (١كو٩: ٢)، وأيضًا: «أَنَا غَرَسْتُ» (١ كو٣: ٦). وهنا يقول: «وَلَدْتُكُمْ». ولم يَقُل: «**كرزتُ لكم بالإنجيل**»، بل قال: «وَلَدْتُكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ بِالإِنْجِيلِ.»، مستخدمًا المصطلحات، التي تُستَخدَم في الطبيعة، لكي يُظهِر اهتمامه ورعايته المستمرَّة بهم، ولكي يُظهر مدى المحبَّة التي قدَّمها لهم. بمعنى أنَّه بعدما أخذوا هذه المحبَّة منَّا، أصبحت هذه المحبَّة هي التي قادتهم فيما بعد. وعندما قال: «كَأَوْلاَدِي»، ولكي لا تعتقد أنَّه قال هذا، لكي يتملَّقهم، فإنَّه يذكر السبب، فيقول:

«فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي.» (١كو ٤: ١٦).

يا للعجبِ كم هي عظيمة هذه الجرأة التي للمعلِّم، كم هي واضحة وجَليَّة هذه الصورة، إذ أنَّهُ يرجو تحقيق ما يطلب لأجلِ فائدة الآخرين. وهو لا يفعل هذا بتباهٍ وافتخار، بل هو يُبرهن على أنَّ السلوك بالفضيلة، هو أمرٌ سهل.

إذًا لا تَقُل لي إنّي لا أستطيع أنْ أتمثَّل بكَ، لأنَّكَ أنتَ مُعلِّم وعظيم. فالمسافة بيننا ليست شاسعة، كما هي بيني وبين المسيح، ومع هذا، فأنا قد تمثَّلتُ بالمسيح. وعندماكتب إلى أهل أفسس، لم يضع نفسه في المنتصف، بل قاد هؤلاء مباشرة نحو الله، قائلًا: «فَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي.». لكنه هنا، ولأنَّه يتوَجَّه نحو الضعفاءِ في الإيمان، فقد وضع نفسه في المنتصف، لكي يتمثَّلوا به، كما هو بالمسيح. وهكذا يُظهِر أنَّه من الممكن أن يتمثَّلوا بالمسيح، لأنَّ مَن يُحاكي الختم بدقَّة، يتشبَّه بالصورة، ويتشبَّه بالأصلِ أيضًا

(يتبع في العدد القادم)

الحياة ليست كما تبدو دائما

جلست الفتاة الشَّابة في المقهى بانتظار خطيبها الذي اتفق معها أنْ يلاقيها بعد انتهاء العمل، ارتشفت الشَّاي وجالت بنظرها في المكان، فرأت شابًّا ينظر إليها ويبتسم. لم تُعِرْهُ انتباهًا، واستمرت في شرب الشَّاي، بعد دقائق اختلست نظرة بطرف عينيها إلى حيث يجلس الشَّاب، فرأته مازال ينظر إليها وبنفس الابتسامة، تضايقت جدًّا من هذه الوقاحة؛ وعندما جاء خطيبها أخبرته. نهض الخطيب واتَّجه نحو الشَّاب ولكمه لكمة قويَّة في الوجه، أطاحته أرضًا نظرت الفتاة الشَّابة نظرة إعجاب إلى رُجولة خطيبها، ودفاعِهِ عنها في مقابل نظرات الشَّاب الوقحة، وخَرجَا من المقهى يدًا بيَدٍ....

بعد لحظاتٍ نهض الشَّاب بمساعدة النادل، ووضع نظارته السَّوداء على عينيه، ورفع عصاه وتحسَّس طريقه إلى خارج المقهى. !!!

أقامت إحدى الكنائس سهرة روحيَّة تخلَّلها مسرحيات وترانيم تحتفل بالرَّبِّ يسوع المسيح. كان بين الحضور **شاعرٌ شهيرٌ معروفٌ في الأوساط الأدبيَّة**. خلال السهرة، مالَ **راعي الكنيسة** إلى **الشاعر الشهير** وطلب منه قائلًا: «سيِّدي، هل تستطيع أنْ تتلُو على مسامعنا المزمور الثاني والعشرين؟ إنَّ ذلك يسرّني للغاية» ، **وافق الشاعر**.

كان الجميع سكوتًا وهم يسمعون ذلك الأديب الشهير يتلو المزمور الثاني والعشرين بصوتٍ وقورٍ وإلقاءٍ أدَبِيٍّ رائع يخلو من أيِّ عيبٍ. حين أنهى **الشاعر** إلقاءه، وقف الجميع وصفقوا له بشدَّة، طالبين منه أنْ يعيدَ ذلك الإلقاء الرائع.

أجاب الشاعر: «أشكُركم أيُّها الأحباء، لكن لا بُدَّ أنْ أُعطي فرصة لغيري. هل من بينكم، من يحبُّ أنْ يُلقي على مسامعنا هذا المزمور الرائع؟.

«**وقف شيخٌ عجوزٌ** كانت سنون الحياة قد أَحْنَت ظَهْرَهُ وأثقلَت مِشْيَتِهِ. تقدَّم ببطءٍ نحو المِنَصَّة، وبصوتٍ ضعيفٍ مرتجفٍ قال: « الرَّبُّ يرعاني. فلا يعوزني شيءٌ ❋ في مكان خُضرةٍ هناك اسكنني. على ماءِ الرَّاحةِ رَبَّاني ❋ رَدَّ نَفسِي. وهَداني الى سبيل البِرِّ من أجلِ اسمِهِ ❋ إن أنا مشيتُ في وسط ظلالِ الموت فلا اخشى الشرّ لأنَّكَ معي. عصاكَ وقضيبك هما يُعَزِّيانني❋ هيَّأتَ قُدَّامي مائدةً مُقابِل الذين يُحزنوني. دهنتَ بالدُهنِ رأسي. وكأسُكَ تُسكِرُني كالصَّرفِ❋ ورحمتُكَ تُظَلِّلني جميع أيَّام حياتي. لكيما اسكن في بيت الرَّبِّ إلى طول الايام❋»

خيَّمَ هدوءٌ عظيمٌ على القاعة حين أنْهَى ذلك الشيخ كلامه. ثم سُمع صوت غَصَّاتٍ ضعيفة، بينما كان الجميع يمسحون دموعهم بسكوتٍ. بعد بضع لحظاتٍ، **وقف الشاعر وعيناه تترقرقان بالدموع**، وقال: «**أيُّها الأخوة، لَدَيَّ اعترافٌ أُقدمه لكم. أنا أعرف ذلك المزمور جيِّدًا.. لكن هذا الشيخ يعرف الرَّاعي الصَّالح الذي يتكلَّم عنه المزمور جيِّدًا.**»

الصَّرفِ = الصافي/ النقيّ

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح
المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح
كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html
لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
IBAN: IL480127260000000111122